

سلسلة كتب الإسلام ووطن
الكتاب الثامن والعشرون بعد المائتين

الإخوان المسلمون متى وكيف وطاخي !!؟

الجزء الأول

جُندة البحوث والدراسات
بالطريقة العزيمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الثانية

رَجَب ١٤٤٠ هـ - مارس ٢٠١٩ م

الإخوان المسلمون متى .. كيف .. ولماذا ؟	عنوان الكتاب
لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية	المؤلف
دار الكتاب الصوفى	الناشر
١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب	عنوان الناشر
٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠	رقم التليفون
٢٠٠٥/١١٦٥٤ م	رقم الإيداع
٩٧٧-٥٢٧٣-٦٣-٣	الترقيم الدولي

الافتتاحية

الحمد لله الذى أطلع فى أفق أعلى أرواح أحبابه ضياء
شمس البدء الأولية، وألاح فى سماء أفئدة أوليائه نور قمر
حقائق الشرائع التفصيلية، وأنار أرض قلوبهم بلوامع
أسرار الأول والآخر، واطمأنت برؤيا جمال تنوعات
ظهوره فى أنواع المظاهر. صاغ أرواحهم من لطيفة
(أحببت)، وأشدهم ضياء المجلى بيوم (ألست). لاحت
لهم أنوار التجلى على عرفات النفوس، وأشرقت فى أفاق
قلوبهم شمس سنا مجالى القدوس.

والصلاة والسلام على درة الجواهر المصان، فى غيب
الأعيان قبل البيان، عين المعنى الذى تألّمت له أرواح
عالين، وسجدت له الملائكة وأخذ ميثاق النبيين، لطيفة
الشهود التى جذبت إليها أرواح المقربين، وهامت لها أفئدة
الصديقين والشهداء الصالحين، حبيب الله وصفيه ورسوله

ونجيه سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صلّ وسلم وبارك عليه وآله، صلاة تغفر بها
خطئى وزللى، وتبدل سيأتى بحسنات، وأسعدنا يا إلهى
بالروح والريحان، والجنة والرضوان، وأعز المسلمين
واجمعهم وأيدهم.. آمين يا رب العالمين.

وبعد:

متى يمكن للكاتب أو المؤرخ أن يجد الجرأة كى
يتلمس طريقه نحو تفهم ودراسة حدث تاريخى ما أو
شخصية تاريخية ما؟.

مدرس خط بسيط - يعترف أن خطه ليس جيداً -
بمدرسة ابتدائية بالإسماعيلية قفز على مسرح الأحداث
السياسية فى مصر ليلعب واحداً من أبرز وأغرب الأدوار
وليتلاعب - أو هكذا خيل إليه - بالكثير من القادة
والزعماء والقوى باقتدار ودهاء.

وشتان بين ما يسميه أتباعه ومريده: الإمام المرشد..
الرجل القرآنى.. الرجل الربانى.. وغيرها من عبارات
التبجيل والتقدیس.

وبين ما يسميه خصومه: حسن رأس بوتین.. الشيخ
الدَّجَال.. وغيرها من عبارات التهجم والتتقیص.
والذى شدنا إلى الكتابة فى هذا الموضوع تلك
الاتجاهات الجديدة بين الشباب، وظهور جماعات التكفير
والهجرة، والقطيبيون والشوقيون والجهاد وغيرها، وعلاقة
ذلك كله بدعوة حسن البنا وحقیقة أهدافه.

لذلك كان لا بد من العودة إلى الجذور الأصلية
لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين بتخطيط بريطانى لعبد
العزیز آل سعود، كى يتمكن الأخير من تصدير دعوة
محمد بن عبد الوهاب إلى سائر بلاد المسلمين، وبالتالى
السيطرة على العالم الإسلامى عن طريق مصر، وإلیم

القصة من البداية..

حين بدأ عبد العزيز آل سعود تكوين الدولة السعودية الثالثة كان يضع فى حساباته القوى المحلية والقوى الإقليمية والقوى الدولية، تمثلت القوى الدولية فى إنجلترا، وتمثلت القوى الإقليمية فى إيران والشام والعراق ومصر، وكان معظمها تحت السيطرة البريطانية، وكان معظمها أيضاً يدين بالولاء إلى التشيع، سواء فى ذلك إيران القطب الإقليمى فى الشرق، أو أبناء الشريف حسين فى العراق وسوريا وشرق الأردن، وكان الاستثناء الوحيد هو مصر القطب الإقليمى فى الغرب، والذين يدين بالتصوف السنى، وبعد القوى الإقليمية والدولية كانت هناك القوى المحلية فى الجزيرة العربية خارج أملاك عبد العزيز فيما بين اليمن وعمان ودويلات الخليج، والشيعية أيضاً هم أهم القوى فى اليمن وفى الخليج، بالإضافة إلى الشيعة فى

المنطقة الشرقية والأحساء - التي ظهرت أهميتها
البتروولية - والأشراف في الحجاز.

إذن فالشيعية (العدو التاريخي لآل سعود وضحايا
الغارات السعودية منذ دولتهم الأولى) هم الذين يحيطون
بمملكة عبد العزيز من الشرق (إيران ودويلات الخليج)،
والشمال (أبناء الشريف حسين في العراق والأردن، وفي
الجنوب اليمن).. وهم الألعام الموقوتة داخل المملكة..
إذن فلم يبق له متنفس إلا في مصر التي تدين بالولاء
للتصوف السني، والتي إن انضمت سياسياً للقوى الشيعية
فسيتم خنق الدولة السعودية الثالثة.. ومصر هي نفسها
أسقطت الدولة السعودية الأولى، وأسهمت في التنازع
الداخلي الذي أسقط الدولة السعودية الثانية.. وإن فمصير
الدولة السعودية الثالثة مرتبط تحديداً بقوتين إقليميتين هما
مصر وإيران، بالإضافة إلى إنجلترا القوة الدولية صاحبة

النفوذ فى إقليم الشرق الأوسط كله آنذاك.

لذلك عمل عبد العزيز بالخطوة المرسومة له على كسب ود إنجلترا، وعلى تحويل العمق المصرى من التدين الصوفى السنى إلى التدين الوهابى ، وساعدته الظروف السياسية المصرية والدولية وظهور البترول، وبالتأييد المصرى والبريطانى استقرت أمور عبد العزيز فى مملكته، واستطاع أن يأمن أعداءه الشيعة داخل مملكته وحولها.

فمن المعلوم أن منطقة الشرق الأوسط لها قطبان أساسيان هما: مصر وإيران.. والأطراف التى بينهما (الجزيرة العربية والشام والعراق) تقع فى إطار التنافس الدينى والسياسى بين القوتين المصرية والإيرانية؛ لذلك جعل عبد العزيز مصر (القطب الغربى) عمقاً له، وتحالف مع القوى العالمية الغربية (إنجلترا ثم أمريكا)،

وأصبح ذلك من ثوابت السياسة السعودية الخارجية.

الانفتاح على مصر :

أيقن عبد العزيز - بتخطيط بريطاني مآكر - أن صلاح العقيدة الوهابية فوق طاقة علماء نجد، فأثر أن يفتح بها على مصر، ليأتى الاجتهاد فى تنقيح وتحديث الوهابية من مصر، بعد أن تكون مصر عمقاً إستراتيجياً لدولته الوليدة، ولا ريب أن مستشاره المصرى (حافظ وهبة) كان وراء توثيق الصلة بين الجانبين.

وقد كان حافظ وهبة مهتماً بتوثيق العلاقات بين الملك عبد العزيز ومصر، يقول مثلاً فى تأريخه لأحداث الصراع بين الملك عبد العزيز والشريف حسين: (وفى سبتمبر سنة ١٩٢٥م وصل فضيلة الشيخ المراعى وكان رئيساً للمحكمة العليا الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفى السرايا، ومعهما كتاب رقيق من جلالة

ملك مصر جوابًا لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة)، ويقول حافظ وهبة معبرًا عن مشاعره: (إنه ظرف ملائم جدًا وفرصة نادرة لتوثيق العلاقات بين مصر ونجد، وسلطان نجد كان ولا يزال معترفًا بزعامة مصر من وجهة الثقافة والمدنية ويجب أن توطد العلاقات بينه وبين مصر)^(١).

وطبقًا للمخطط الإنجليزي لعبد العزيز فى التفكير المستقبلى ونشر الدعوة على مهل، فإن نفس العام ١٩٢٦م الذى شهد البديل للإخوان قبل تصفية الإخوان، وهو هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شهد انفتاحًا آخر فى نشر الدعوة الوهابية فى مصر، ويجمع بين الحادثتين أن عبد العزيز أراد تطوير الدعوة الوهابية وتخليصها من الجمود، وطالما أن ذلك متعذر فكريًا فى

(١) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين، ص: ٢٦٨.

العقلية النجدية، فإن الفرصة قد تكون فى مصر التى يراها رائدة المدنية والثقافة على حد وصف حافظ وهبة. ومصر فى حد ذاتها هى المشكلة الكبرى لعبد العزيز، فهى التى كانت تسيطر على الحجاز فى العصر المملوكى، واستمر نفوذها الأدبى فيه إلى أن اصطدم بإخوان عبد العزيز فى حادث المحمل، ومن الطبيعى أن يقوم بتطبيع العلاقات معها بعد استيلائه على الحجاز، ونلاحظ حرصًا زائدًا من عبد العزيز ومستشاره حافظ وهبة على استمالة مصر بكل طريقة إلى السلطة الجديدة، فمصر هى أقدم دولة فى المنطقة، وكانت دولة عبد العزيز وقتئذ أحدث دولة فى المنطقة (قبل قيام إسرائيل)، ومن الممكن أن يكون العمق المصرى رصيدًا للكرهية والحرب ضد الدولة الجديدة يتعامل ضدها مع الأردن والعراق حيث الأشراف (فيصل وعبد الله)، وفى اليمن،

بالإضافة إلى الشيعة فى الأحساء وفى الحجاز، فىتم
بمصر ذلك الحصار وتختق دولة عبد العزيز.

ومن الممكن أيضاً أن يكون العمق المصرى رصيذاً
لدولة عبد العزيز ترتكز عليه فى مواجهة أولئك الخصوم
المتربصين بها فى الشرق والشمال والجنوب؛ ومن هنا
كان لا بد من كسب مصر إلى جانبهم بكل وسيلة، وقد
حاول عبد العزيز ومعه مستشاره الداھية حافظ وهبة
ونجح: على المستوى الرسمى أمكن تفادى حادث
المحمل، وعلى المستوى الشعبى والثقافى بدأ انقلاب
خطير منذ سنة ١٩٢٦م تمثل فى بداية تحويل التدين
المصرى السنى الصوفى إلى تدين وهابى، ليكون العمق
المصرى الشعبى والحضارى امتداداً للدعوة النجدية
والدولة السعودية الثالثة، وكان سمسار هذا التحول فى
مصر اثنين من الشيوخ الشوام وهما: محب الدين

الخطيب، ورشيد رضا.. وعن طريق رشيد رضا بالذات
تسلل الفقه الوهابي إلى مصر عبر الطرق الآتية:

(١) الجمعية الشرعية: أسسها الشيخ محمود خطاب
السبكي سنة ١٩١٣م على أساس الولاء المطلق للتصوف،
وفي إخضاع الفقه للتصوف كتب الشيخ محمود السبكي
أولى مؤلفاته: (أغلب المسالك المحمودية فى التصوف
والأحكام الفقهية).. فى أربعة أجزاء، وكتاب (العهد
الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق) وغيرها.. ولكن فى
١٩٢٦م اتخذت مؤلفاته طابعاً جديداً تحت شعار الدفاع
عن السنة، وبالطريقة الوهابية أخذ يهاجم التصوف تحت
هذا الشعار، وفى هذا الاتجاه الجديد كتب ٢٦ كتاباً إلى أن
مات سنة ١٩٣١م، وعلى طريقه سار ابنه أمين السبكي
فقد كتب فى الدعوة الوهابية تسعة من الكتب وتوفى سنة
١٩٦٨م، وهكذا:

وبالنفوذ السعودي الذي أرساه رشيد رضا انتشرت مساجد الجمعية الشرعية، وهي الآن أضخم جمعية فى مصر، تسيطر على أكثر من ألفى مسجد وألوف الأئمة والوعاظ، ومئات الآلاف من الأتباع، وكانت ولا تزال الاحتياط الاستراتيجى للإخوان المسلمين، وهم - أى الجمعية الشرعية والإخوان المسلمون - هم مادة الفكر السلفى الوهابى وحركته فى المجتمع المصرى.

(٢) **جمعية أنصار السنة:** فى نفس العام ١٩٢٦م أقامها الشيخ حامد الفقى أحد الأزهريين، وقد أنشأ له الملك عبد العزيز منزلاً فى حى عابدين كان مقراً للدعوة الوهابية، وتخصصت هذه الجمعية فى نشر الفكر الوهابى ومؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، كما أنشأ مجلة (الهدى النبوى) سنة ١٩٣٦م ولا تزال تصدر، ثم أصدروا مجلة (التوحيد) لتكفير الصوفية ومحاربة

سلطانهم الروحي على ملايين المصريين.

٣) **جمعية الشبان المسلمين:** أنشئت سنة ١٩٢٧م بتخطيط محب الدين الخطيب رفيق الشيخ رشيد رضا الشامي في الدعوة السلفية، وتولى رئاستها د. عبد الحميد سعيد، والاتجاه الحركي يغلب على هذه الجمعية وانتشرت وسط الشباب، وكان حسن البنا الساعاتي هو أهم الشباب فيها، ومع أنه أنشأ الإخوان المسلمين على غرار جماعة الإخوان التي أنشأها عبد العزيز آل سعود، إلا أن حسن البنا كان دائم التردد على جمعية الشبان المسلمين، وقد قُتلَ أمام أبوابها سنة ١٩٤٨م.

٤) **جماعة الإخوان المسلمين:** أسست سنة ١٩٢٨م وهي الاتجاه الحركي السياسي المسلح، وكان إنشائها

بعناية رشيد رضا وتوجيهاته^(١)، ورشيد رضا هو الذى قام بتقديم الشاب حسن البنا إلى أعيان السعودية وأعمدة الدعوة الوهابية، ومنهم حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز، ومحمد نصيف أشهر أعيان جدة، وابنه عبد الله نصيف هو الذى كان يتزعم رابطة العالم الإسلامى، والتي يتغلغل من خلالها النفوذ السعودى إلى العالم الإسلامى حتى اليوم، وهى التى لعبت دوراً فى تجنيد الشبان للذهاب إلى أفغانستان وتدريبهم هناك، خدمة للمصالح الأمريكية فى الحرب الباردة مع الروس، وهى الآن تحول دون وصولهم لأفغانستان لتحريرها من الاحتلال الأمريكى.

(١) يعترف الشيخ حسن البنا بعلاقته بالشيخ رشيد رضا والشيخ محب الدين الخطيب فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية، ص: ٦١، ط. دار الاعتصام ١٩٨٦ - القاهرة).

ونعود إلى الشيخ رشيد رضا وجهوده خارج نطاق الجمعيات لنلمح إلى تأسيسه مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة في جزيرة الروضة سنة ١٩١٢م، وكانت تجاوره مؤسسة الزهراء للسلفى الشامى محب الدين الخطيب فى نفس المنطقة، كما كانت مجلته (المنار) ذائعة الصيت متخصصة فى الدعوة الوهابية والسعودية، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته المتخصصة (كالخلافة والسنة والشريعة)، وفيها يدعو إلى الخلافة الإسلامية، ويرى فى ابن سعود المؤهل الوحيد للخلافة، وعن طريق مطبعة المنار نشر رشيد رضا الكثير من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، وتوفى رشيد رضا بعد أن قام بتوديع الأمير سعود ولى العهد فى ميناء السويس سنة ١٩٣٥م، وترك الراية يحملها وراءه تلميذه حسن البنا مؤسس الإخوان.

والشيخ حسن البنا اعترف فى مذكراته (الدعوة والداعية) بصلته بالشيخ حافظ وهبة والدوائر السعودية^(١)، والأستاذ جمال البنا شقيق حسن البنا يعترف بتلك الصلة بين شقيقه الأكبر ووالده والسلطات السعودية فى كتابه (خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه).

ويشير الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته عن السياسة المصرية إلى معرفته بالشاب حسن البنا فى موسم الحج سنة ١٩٣٦م، وكيف أن حسن البنا كان وثيق الصلة بالسعودية ويتلقى منها المعونة، وكان البنا يمسك بيد من حديد بميزانية الجماعة، ولذلك فإن الانفصالات عن الإخوان ارتبطت باتهام الشيخ البنا بالتلاعب المالى وإخفاء مصادر تمويل الجماعة عن الأعضاء الكبار فى

(١) مذكرات الدعوة والداعية، حسن البنا، ص ٩١، ط. دار الاعتصام - القاهرة.

مجلس الإرشاد، وعن طريق الدعم السعودى استطاع
البناء- وهو المدرس الإلزامى البسيط- أن ينشئ خمسين
ألف شعبة للإخوان فى العمران المصرى من الإسكندرية
إلى أسوان (١).

إذا استعاض عبد العزيز آل سعود عن الإخوان
البدو المشاكسين بإخوان آخرين مصريين يدينون له
بالولاء، ويعملون فى نشر العقيدة الوهابية فى أكبر عمق
عربى وإسلامى يلاصقه، وينتظر منهم أن ينشروا هذه
الدعوة إلى آفاق أرحب فى العالم العربى، وهذا ما
حدث.. وأن حولوا دعوتهم الدينية إلى حركة سياسية فى
المستقبل، وهذا ما حدث أيضاً.. وقد ينجحون فى

(١) د. أحمد صبحى منصور: التدين المصرى والتدين النجدى:
٢٦:٢٨. منشور فى (الإنسان والتطور العدد ٦١ أبريل مايو ويونيه
١٩٩٨).

الوصول إلى الحكم، وبذلك تعود الدولة الإسلامية الأولى ليحكمها آل سعود بدون الفتح العسكرى الذى تمنعه الدول الكبرى.

سياسة عبد العزيز مع المناخ الثقافى:

مع الإخوان النجديين تخلص من خطرهم العسكرى بأقل قدر ممكن من الخسائر، وحول باقى طاقتهم الحربية إلى جيش دفاعى يلتزم بأوامره، وقام بتضميد الجراح واستمالة الخصوم، ومع العلماء أخضعهم لسيطرته ووضع سقفاً أعلى لحريتهم فى النقد والاعتراض، بما لا يتعارض مع المصالح الغربية^(١)، وفى نفس الوقت وضع سياسة للأخذ من الغرب، وبالاستفادة من تقدمه العلمى والتكنولوجى بما يتواءم وحالة بلاده للتطور وما يتلائم

(١) كان أبلغ دليل على ذلك فتوى ابن باز بجواز الاستعانة بالغرب لمحاربة صدام، فكان احتلالاً بالتراضى مدفوع الأجر.

والدين الوهابي، وبنفس الطريق انفتح على العرب
والغرب، فأنشأ تياراً جديداً متفتحاً، يسعى للخارج للسفر
والسياحة والتعلم، ويقوم على عاتقه ببناء الدولة
وتطورها، الأمر الذي أدى فى النهاية إلى تغيير
المستحيل، وهو التقليد والجمود الذى كان ديناً، فأصبحت
ذكرياته القريبة مبعثاً للخجل حين امتلأت المملكة
بالسيارات وأجهزة الراديو والاتصالات وسائر
المخترعات.

ومع المنهج الوهابى انطلق به إلى آفاق أرحب، حين
ركز على مصر فانطلق به الإخوان المسلمون المصريون
إلى العالم العربى والإسلامى، وتحول التدين المصرى من
التصوف إلى الوهابية على مهل خلال النصف الثانى من
القرن العشرين، خصوصاً بعد أن سقطت الأيدولوجية
(العقيدة) القومية والأيدولوجية اليسارية.

باختصار صدر عبد العزيز مشكلته فى المنهج الأيدولوجى الوهابى إلى مصر، فى نفس الوقت الذى قام فيه بتحجيم دور الفقهاء السعوديين مع الانفتاح على الغرب، وجاء البترول وعوائده الضخمة فانشغلت مملكته باستهلاك المنتجات الغربية التى لم تعد رجباً من عمل الشيطان، بينما تسلل الفكر الوهابى إلى مصر المنفتحة بطبيعتها على الغرب، فأصبح للفقهاء السعوديين مجال مصرى وعربى أوسع يسمع لهم خارج المملكة، واستعاضوا به عما كان لهم من نفوذ سابق داخل المملكة، وقد ظهر أثر ذلك التطرف والتعصب والتزمت الوهابى خارج السعودية منذ السبعينيات من القرن العشرين، حين أخذ الإخوان المسلمون الجدد - التكفير والهجرة، والجهاد، والقطيبيون، والناجون من النار، والجماعات الإسلامية - يكررون - بعد نصف قرن - ما كان يفعله

إخوان مطير وعتيبة والعجمان.

إلا أن هذه السياسة تعرضت لخطر الأيدولوجية الناصرية، وتوجهاتها الدولية والقومية، وربما تثبت الأيام في المستقبل أن أصابع السعودية- في عهد فيصل- لم تكن بعيدة عما حدث من نكسات للناصرية وتحول مصر إلى الفلك الأمريكى السعودى الوهابى فى عصر السادات صديق الشيخ حسن البناء؛ لأن استقراء الأحداث فيما بين ١٩٧٦م وحتى الآن يؤكد أن السعودية هى التى أصبحت مستفيدة سياسياً على حساب مصر، ويكفى أنها كانت قبل ثورة ١٩٥٢م تعتمد على العمق المصرى، ثم جاءها الخطر من ذلك العمق فى الحقبة الناصرية، وبعد القضاء على الناصرية أصبحت ليس فقط تعتمد على العمق المصرى، بل تنتسيده وتركب أكتافه لتكون زعيمة العالم الإسلامى العربى، بعد إخضاع مصر لنفوذها السياسى

والتقافى، ويكفى أيضاً أن انتصار مصر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م، تمخض عنه نتيجتان متناقضتان: تضخم أسعار النفط لدى السعودية التى لم تحارب ولكن اقتطفت ثمار النفط وتحولت إلى مليارات الدولارات فى رصيدها بدون عناء، بينما وصلت مصر التى حاربت إلى حافة الإفلاس، وحين اضطرت إلى سياسة الانفتاح استفاد منه السعوديون فانفتحوا على مصر يشتررون به عقول بعض أبنائها وأجساد بعض نساءها، وذلك بأموال جاءت بها دماء الشهداء المصريين فى معركة العبور!!.. وما سمعنا فى التاريخ أن شعباً منتصراً يتحول أبنائه إلى أجراء وتتحول بعض نساءه إلى ما يشبه السبايا فى زواج عرفى أو بدون زواج، وأن يكون المشتري أو المستفيد هو من لم يحارب ولكنه جنى ثمار النصر من المنتصر وركب بها على أكتافه!.

والإنصاف الإسلامى يقتضى أن يكون لمصر حصتها
فى زيادة سعر البترول لا تقل عن النصف، وذلك بأثر
رجعى منذ ١٩٧٤م، والذى حدث هو العكس، اشترت
السعودية بعض العقول والسواعد والأجساد المصرية
بأبخس الأثمان، وتعاملت معنا بعقلىة الاستعباد
والاستئجار، وانقلب الحال، فبعد أن كان الحجاز والشام
منطقة حيوية لمصر، أصبحت منطقة حيوية لنجد التى لم
يهتم بها أحد من قبل.

باختصار تسيدت السعودية العمق المصرى واستغلته
فى توسيع الوهابية، وفى حصار المناهج الأخرى الشيعية
والمسوية بالتنسيق مع العلمانية اليهودية.. إلا أن هذا
الذى حدث مع فاجته وغبائه يمثل إحدى الاستثناءات
التاريخية التى تنشذ عن القاعدة ولا تنفيها. فالأصل أن
الجزيرة العربية فى جزئها الشرقى يتبع استراتيجياً إيران

القطب الشرقى، وفى جزئها الغربى (الحجاز) يتبع مصر القطب الغربى، وتتأرجح نجد بين هذا وذاك، وتظل نجد فى جدل حضارى مع حدود الشام والعراق، وهما معاً (الشام والعراق) مناطق تخوم تتبع استراتيجياً إيران ومصر، وتعانى من غارات نجد وتخلفها.

إلا أن هذه القاعدة الثابتة تعرضت لنوعين من الظروف الاستثنائية:

الأولى، فى الفتوحات العربية الإسلامية، وكان عمادها أعراب نجد وغيرها بعد أن أخضعهم المسلمون فى حرب الردة..

والثانية، وكان عمادها فى ظهور البترول أثر توحيد معظم الجزيرة العربية تحت حكم عبد العزيز وظهور السعودية.

فى الظروف الاستثنائية الأولى فى عهد الخلفاء

الراشدين وغير الراشدين، ناوهم الأعراب الثوار تحت مسمى الخوارج، ثم الزنج، ثم القرامطة، وفي كل الحالات فإن عاصمة الحكم الإسلامية كانت تنتقل من الصحراء إلى أقرب منطقة حضارية للصحراء (الكوفة، دمشق، بغداد) وينتقل الأعراب الثائرون أيضاً إلى نفس المناطق الحضرية.. أى لا بد من التوجه إلى القطب فى إيران حتى ولو حمل اسم العراق العجمى، ثم لا تلبث مصر (بعد أن تحولت إلى ولاية تابعة لدمشق) أن تصبح ولاية مستقلة فى العصر العباسى الثانى، ثم تستقل بخلافة شيعية فى الدولة الفاطمية، وبذلك ترجع الأمور إلى نصابها فى الحسابات الاستراتيجية وتتافس القاهرة الفاطمية الشيعية بغداد السنية، وتتجح فى هذا التتافس حتى يصل سلطان الفاطميين إلى العراق وتخطب مساجد بغداد للفاطميين أثناء ثورة البساسيرى، وفى كل الأحوال

تنتقل الأضواء والصراعات من الجزيرة العربية إلى ناحية القطبين في الشرق (إيران) وفي الغرب (مصر) وتترك الجزيرة العربية.. بحيث إن كل الثورات التي قام بها الحجاز لاسترداد مكانته قد منيت بالفشل.. مع أهمية الحجاز الدينية والتاريخية، واتضح سياسياً وتاريخياً منذ الفتوحات العربية والإسلامية أن دور الجزيرة العربية هو أن تكون تابعاً للمناطق الحضارية الغنية فيما بين القطبين مصر وإيران، وأن غاية الطموحين من أبناء الجزيرة العربية هو الوصول بالغارات والغزوات إلى هذين القطبين، فإذا وصلت إلى هناك انقطعت صلتهم بالجزيرة العربية، يسرى هذا على معاوية كما يسرى على أحفاد الأمويين في دمشق ثم في الأندلس، وأحفاد العباسيين في بغداد ثم القاهرة المملوكية بعد سقوط بغداد.

وظل هذا دور الجزيرة العربية بإغاراتها التي تحمل أيولوجية دينية أو لا تحمل تلك الأيدولوجية، إلى أن جاء

عبد العزيز ليقوم دولته السلفية الوهابية، فأراد الإخوان تكرار التوسع الحربى وفشلوا.

وظهر البترول فى المملكة فى صدفة تاريخية، فانتشر النفوذ السعودى سلمياً عبر قطار النفط السريع فى مصر، ومن خلالها إلى العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية فى الغرب والشرق.. وهذا الظهور الذى ارتبط بالصدفة البترولية لا يغير من الحقائق الإستراتيجية، بل يؤكدها.

ومن ثم يتضح كيف انتشرت الوهابية فى العالم عن طريق الإخوان المسلمين، وهذا السلوك المريب هو السبب فيما وصلت إليه الأمة من هوان؛ وقد حان موعد الحساب.

فمنذ إنشائها فى الإسماعيلية على يد حسن البنا، فى ٢٨ مارس ١٩٢٨م، وحتى الآن، لم تغير جماعة (الإخوان المسلمين الوهابية) شيئاً من دوافعها وأساليبها وأهدافها، ومن الأخطاء الكثيرة والعديدة التى ظلت

ملتصقة بفكر هذه الجماعة الوافد من نجد منذ ١٩٢٨م وحتى ٢٠١٩م، رغم أنها عاصرت الحياة السياسية المصرية وجوهر الشعب المصرى على مدار ٩١ عامًا، إلا أنها ما زالت تعتقد أن مصر ستكون مقررًا رئيسيًا مستمرًا لإقامتها، وأن الشعب المصرى تحت ضغط الأزمات السياسية والاقتصادية المتراكمة، سوف يقبل (الإخوان المسلمين) حكمًا على أرضه مرة ثانية، بعد أن فشلوا فشلًا ذريعًا في عهد الرئيس الإخواني محمد مرسي ٢٤ يونيو ٢٠١٢م - ٣ يولييه ٢٠١٣م.

بل إن الإخوان المسلمين - ويعتبر هذا من إفرازات فكرهم النجدي المنغلق، القاصر - يزداد اعتقادهم بأن لهم مستقبلًا مزدهرًا على أرض مصر، وأن المسألة فقط هي مسألة وقت لكي يحتلوا الشعب المصرى.

الإخوان قادمون (قادمون) هذا هو إيمانهم الراسخ. ودفعهم هذا الإيمان إلى العمل بدأب وصبر دون ملل أو

كلل لتجميع صفوفهم وتنظيم أعضائهم والنزول إلى الناس في التجمعات الجماهيرية، واستغلال كل فرصة أو كل مصادفة لبحث سمومهم ونشر الأكاذيب والإشاعات المحبطة، وإن كانوا قد نجحوا في بعض الأحيان، فالسبب أن سمومهم مغلفة بالعسل الحلو وسط شعب ذاق مرارة عصر وراء عصر، شعب لديه حساسية خاصة تجاه الإسلام وهيبة اللغة الدينية.

إذا أحس الإخوان المسلمون أن من مصلحتهم في وقت ما الاختفاء والكمون والتراجع فعلوا ذلك، وإذا استشعروا أن هناك من الأزمات والقلقل والبلبلة والثغرات خرجوا من الكمون، وأعادوا دراسة الواقع، ودخلوا إلينا من كل ثغرة ممكنة، إن الانتهازية هي (الدينامو) الذي يحركهم ويحدد مساراتهم، وتتباين درجات الانتهازية وتكون ذروتها أمرين لا غنى عنهما: الأول هو مبدأ (التقية). والثاني هو مبدأ (التحالف) التكتيكي، أي: الوقتي، مع

تيارات يخالفونها ويعادونها ويضعون قيادتها على قوائم
الاغتيال.

لكنهم وفقاً للانتهازية يتغاضون عن ذلك؛ لأن تحالفهم
المؤقت، سيكسبهم أرضاً جديدة أو يدعم من موقفهم.

إن فكر جماعة الإخوان المسلمين يسمح لهم بالقيام
بكل سلوك لا هو من الضمير الإنساني، ولا هو من
جوهر أى دين، ولا هو من محبة الوطن الذى يأكلون من
خيراته ويرعاهم بينما هم يدمرونه، ويفرقونه بأخطر
شيء، وهو الدين.

(كل شيء مباح) مادام سيختصر الطريق إلى مقعد
الحكم، والسيطرة، هم يؤمنون بالمبدأ الميكيفيلى (الغاية
تبرر الوسيلة) والوسيلة المعتمدة رسمياً من قياداتهم على
مر التاريخ هى الاغتيالات وسفك الدماء وخطط الخراب
والتفجير، وإشاعة فتاوى معتمدة، وبث روح الخوف
والإرهاب، وتمجيد الشكليات الدينية، وكرهية الناس الذين

يخططون لحكمهم بالسيف؛ كل هذا حلال؛ لأن الغاية بالنسبة إليهم أنبل الغايات ألا وهي الجهاد لنشر دين الله وكلام الله.. وفى الحقيقة هو جهاد لنشر دينهم الوهاى الخاص، كلام الله بريء من بحور الدم التى تسببوا فيها، وبريء من الانتهازية، وبريء من العنف والسيف والتحكم باسم الدين، وتخويف الناس تحت اسم حماية الأوطان.

وعدت جماعة الإخوان المسلمين الحكومة المصرية عام ٢٠٠٥م بأن تهدئ من أنشطتها وتقلص حركتها مقابل شرطين أساسيين:

الأول: أن تسمح لهم بإقامة حزب (مدنى).

والثانى: هو الإفراج عن عدد من كوادرهم.. ولسنا نفهم كيف وهم الجماعة المؤسسة (دينياً) وغايتها إمارة إسلامية ممتدة.

والتى لا تفعل شيئاً إلا التحدث باسم الدين وباسم الله

وكلام الله وتعاليم الله والثواب الدينية والشريعة الإسلامية
والسنة النبوية والغزوات التاريخية تحت علم الإسلام.
وتحويل اللغة (المدنية) التي تعترف بالصواب والخطأ
إلى لغة دينية ليس فيها إلا الحلال والحرام وصغائر
الذنوب والكبائر وعقاب الله وغضب الله.. كيف يمكن
لهذه الجماعة أن تصبح بقدرة قادر (حزباً مدنياً).
وألبيس وضع الشروط لتهدئ من أنشطتها وحركتها
أكبر دليل على استمرار الانتهازية، وسياسة الصفقات
واستغلال الفرص ومبدأ التهديدات الإرهابي الوهابي؟.
إن الشعب المصري لن يسمح لهذه الجماعة أن تعود
للحكم والسيطرة مهما كان عددهم وعددهم، ومهما كان
الدعم الوهابي لهم، ومهما كانت قوة تنظيماتهم.. والشعب
المصري لن ينسى تحت وطأة أية أزمات أنهم أصحاب
الاجتيالات وسافكو الدماء على أرض شعب مسالم.. لن
يسمح الشعب المصري لأية جماعة تجعل الدين أداة

للتفريق بين أبنائه وأداة لأهداف شخصية تبدأ بالحكم
والسيطرة على السياسة والاقتصاد والثقافة.

يجب على الشعب المصرى أن يكون واعيًا إلى أن
الدين واحة روحانية ودافع للتقوى وتجنب التفريق، ونشر
المحبة والتعاون، وإعمار الكون بالعمل الشريف، (وحماية
الوطن) من المتستترين وراء اسم الله والرسول
والمقدسات، وهو تستر هدفه تخريب الوطن ونهب
موارده، ثم الجلوس على (تله) يوزعون على أعضائهم
الغنائم والنساء وهم مرتاحو الضمير، ذلك الضمير الذى
يدعون أنه نابع من كلام الله.

وأخيرًا نقول:

لم يكن هناك دافع لإصدار هذا الكتاب عن الإخوان
المسلمين إلا حرص لجنة البحوث والدراسات بالطريقة
العزمية - راعية الفكر والمنهج الوسطى الذى هو جوهر
الإسلام - على سلامة هذا الوطن، وتعريف الشاب المسلم

بجنور الإرهاب، أى الإخوان؛ لأن شبابنا هم دروع
المستقبل وأمل الأمة.

أملين أن يعود هذا الشباب المضلل والمموّل إلى جادة
الصواب ليلحقوا بسفن النجاة وهم أهل بيت المصطفى
ﷺ كما جاء فى الحديث الشريف: (أهل بيتي فيكم
كسفينة نوح ﷺ فى قومه، من دخلها نجا، ومن تخلف
عنها هلك)^(١).

والله ولى التوفيق، والهادى إلى سواء السبيل، وإليه
المصير، وعليه التكلان، والله غالب على أمره.

لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية

(١) رواه الطبراني فى الأوسط، باب الميم، من اسمه محمد، ح ٥٣٩٠.

الفصل الأول

البداية صوفية

يقول مؤسس الإخوان المسلمين.. فى كتابه
مذكرات الدعوة والداعية.. طبعة دار الاعتصام ..

القاهرة سنة ١٩٨٦م:

حلقة الذكر^(١)

وفى المسجد الصغير رأيت (الإخوان الحصافية)
يذكرون الله تعالى عقب صلاة العشاء من كل ليلة، وكنت
مواظبًا على حضور درس الشيخ زهران - رحمه الله -
بين المغرب والعشاء؛ فاجتذبتنى حلقة الذكر بأصواتها
المنسقة ونشيدها الجميل وروحانيتها الفياضة، وسماحة
هؤلاء الذاكرين من شيوخ فضلاء وشباب صالحين،

(١) الدعوة والداعية، ص ٢٠، الشيخ حسن البنا.

وتواضعهم لهؤلاء الصبية الصغار الذين اقتحموا عليهم مجلسهم ليشاركوهم ذكر الله تبارك وتعالى، فواظبت عليها هي الأخرى. وتوطدت الصلات بينى وبين شباب هؤلاء الإخوان الحصافية ومن بينهم الثلاثة المقدمون: الشيخ شلبى الرجال، والشيخ محمد أبو شوشة، والشيخ سيد عثمان، والشبان الصالحون الذين كانوا أقرب الذاكرين إلينا فى السن: محمد أفندى الدمياطى، وصاوى أفندى الصاوى، وعبد المتعال أفندى سنكل، وأضرابهم.

وفى هذه الحلبة المباركة التقيت لأول مرة بالأستاذ أحمد السكرى- وكيل الإخوان المسلمين- فكان لهذا اللقاء أثره البالغ فى حياة كل منا. ومنذ ذلك الحين أخذ اسم الشيخ الحصافى يتردد على الأذن فىكون له أجمل وقع فى أعماق القلب، وأخذ الشوق والحنين إلى رؤية الشيخ والجلوس إليه والأخذ عنه يتجدد حيناً بعد حين، وأخذت

أواظب على الوظيفة الزروقية صباحًا ومساءً، وزادنى بها إعجابًا أن الوالد قد وضع عليها تعليقًا لطيفًا جاء فيه بأدلة صيغها جميعًا تقريبًا من الأحاديث الصحيحة، وسمى هذه الرسالة (تنوير الأفتدة الزكية بأدلة أذكار الزروقية). ولم تكن هذه الوظيفة أكثر من آيات من الكتاب الكريم، وأحاديث من أدعية الصباح والمساء التى وردت فى كتب السنة تقريبًا، ليس فيها شيء من الألفاظ الأعجمية، أو التراكيب الفلسفية، أو العبارات التى هى إلى الشطحات أقرب منها إلى الدعوات.

الحضرة والبيعة^(١):

وظللت معلق القلب بالشيخ حسنين الحصافى - رحمه الله - حتى التحقت بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذى لم يكن تم

(١) الدعوة والداعية، ص ٢٥.

حينذاك، وتم بعد ذلك، فكنت مواظبًا على الحضرة فى مسجد التوبة فى كل ليلة، وسألت عن مقدم الإخوان فعرفت أنه الرجل الصالح التقى الشيخ بسيونى العبد التاجر، فرجوته أن يأذن لى بأخذ العهد عليه ففعل ووعدنى بأنه سيقدمنى للسيد عبد الوهاب عند حضوره، ولم أكن إلى هذا الوقت قد بايعت أحدًا فى الطريق بيعة رسمية، وإنما كنت محبًا وفق اصطلاحهم.

وحضر السيد عبد الوهاب - نفع الله به - إلى دمنهور وأخطرني الإخوان بذلك فكنت شديد الفرح بهذا النبأ، وذهبت إلى الوالد الشيخ بسيونى ورجوته أن يقدمنى للشيخ ففعل، وكان ذلك عقب صلاة العصر من يوم ٤ رمضان سنة ١٣٤١ الهجرية، وإذا لم تخنى الذاكرة، فقد كان يوافق الأحد حيث تلقيت الحرافية الشاذلية عنه، وأدنتنى بأورادها ووظائفها.

رأى فى التصوف^(١):

ولعل من المفيد أن أسجل فى هذه المذكرات بعض
خواطر - حول التصوف والطرق فى تاريخ الدعوة
الإسلامية - تتناول نشأة التصوف وأثره، وما صار إليه،
وكيف تكون هذه الطرق نافعة للمجتمع الإسلامى. وسوف
لا أحاول الاستقصاء العلمى أو التعمق فى المعانى
الاصطلاحية، فإنما هى مذكرات تكتب عفو الخاطر،
فتسجل ما يتردد فى الذهن وما تتحرك به المشاعر، فإن
تكن صواباً فمن الله والله الحمد، وإن تكن غير ذلك فالخير
أردت والله الأمر من قبل ومن بعد:

حين اتسع عمران الدولة الإسلامية صدر القرن

(١) الدعوة والداعية، ص٢٧.. ونلاحظ فى هذا الرأى أن مؤسس
الإخوان حاول ألا يصطدم بالواقع الصوفى للمجتمع المصرى، بإظهار
بعض محاسن الصوفية، وفى نفس الوقت يدس السم فى العسل بنقدهم
وتعبيهم تنفيذاً للمخطط الوهابى الموضوع للجماعة.

الأول، وكثرت فتوحها وأقبلت الدنيا على المسلمين من كل مكان، وجبيت إليهم ثمرات كل شيء، وكان خليفتهم بعد ذلك يقول للسحابة في كبد السماء: شرقي أو غربى فحيثما وقع قطرك جاءنى خراجة، وكان طبيعياً أن يقبلوا على هذه الدنيا يتمتعون بنعيمها ويتذوقون حلاوتها وخيراتها في اقتصاد أحياناً وفي إسراف أحياناً أخرى، وكان طبيعياً أمام هذا التحول الاجتماعى، من تقشف عصر النبوة الزاهر إلى لين الحياة ونضارتها فيما بعد ذلك، أن يقوم من الصالحين الأتقياء العلماء الفضلاء دعاة مؤثرون يزهدون الناس فى متاع هذه الحياة الزائل، ويذكرونهم بما قد ينسونه من متاع الآخرة الباقي: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤). ومن أول هؤلاء الذين عرفت عنهم هذه الدعوة - الإمام الواعظ الجليل - الحسن البصرى، وتبعه على ذلك

كثير من أضرابه الدعاة الصالحين، فكانت طائفة فى
الناس معروفة بهذه الدعوة إلى ذكر الله واليوم الآخر،
والزهادة وتربية النفوس على طاعة الله وتقواه.

وطراً على هذه الحقائق ما طراً على غيرها من
حقائق المعارف الإسلامية، فأخذت صورة العلم الذى
ينظم سلوك الإنسان ويرسم له طريقاً من الحياة خاصاً:
مراحل الذكر والعبادة ومعرفة الله، ونهايته الوصول إلى
الجنة ومرضاة الله.

وهذا القسم من علوم التصوف، واسمه (علوم التربية
والسلوك)، لا شك أنه من لب الإسلام وصميمه، ولا شك
أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها،
والطب لها والرقى بها، لم يبلغ إليه غيرهم من المرابين،
ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية
من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيه، وصدق

التوجه إليه، وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الأحيان تأثرًا بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات: كالمبالغة في الصمت والجوع والسهر والعزلة؛ ولذلك كله أصل في الدين يرد إليه، فالصمت أصله الإعراض عن اللغو، والجوع أصله التطوع بالصوم، والسهر أصله قيام الليل، والعزلة أصلها كف الأذى عن النفس ووجوب العناية بها.. ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لکن في ذلك كل الخير.

ولكن فكرة الدعوة الصوفية لم تقف عند حد علم السلوك والتربية، ولو وقفت عند هذا الحد لكان خيرًا لها وللناس، ولكنها جاوزت ذلك بعد العصور الأولى إلى تحليل الأدواق والمواجيد، ومزج ذلك بعلوم الفلسفة والمنطق ومواريث الأمم الماضية وأفكارها، فخلطت بذلك الدين بما ليس منه، وفتحت الثغرات الواسعة لكل زنديق

أو ملحد أو فاسد الرأى والعقيدة ليدخل من هذا الباب باسم التصوف والدعوة إلى الزهد والتقشف، والرغبة فى الحصول على هذه النتائج الروحية الباهرة، وأصبح كل ما يكتب أو يقال فى هذه الناحية يجب أن يكون محل نظر دقيق من الناظرين فى دين الله والحريصين على صفائه ونقاؤه.

وجاء بعد ذلك دور التشكل العملى للفكرة فنشأت فرق الصوفية وطوائفهم، كل على حسب أسلوبه فى التربية. وتدخلت السياسة بعد ذلك لتتخذ من هذه التشكيلات تكأة عند اللزوم، ونظمت الطوائف أحياناً على هيئة النظم العسكرية، وأخرى على هيئة الجمعيات الخاصة، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه اليوم من هذه الصورة الأثرية التى جمعت بقية ألوان هذا التاريخ الطويل، والتى يمثلها الآن فى مصر مشيخة الطرق الصوفية ورجالها وأتباعها.

ولا شك أن التصوف والطرق كانت من أكبر العوامل في نشر الإسلام في كثير من البلدان، وإيصاله إلى جهات نائية ما كان ليصل إليها إلا على يد هؤلاء الدعاة، كما حدث ويحدث في بلدان أفريقيا وصحاريها ووسطها، وفي كثير من جهات آسيا كذلك.

ولا شك أن الأخذ بقواعد التصوف في ناحية التربية والسلوك له الأثر القوي في النفوس والقلوب، ولكلام الصوفية في هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس، ولكن هذا الخلط أفسد كثيرًا من هذه الفوائد وقضى عليها.

ومن واجب المصلحين أن يطيلوا التفكير في إصلاح هذه الطوائف من الناس، وإصلاحهم سهل ميسور، وعندهم الاستعداد الكامل له، ولعلمهم أقرب الناس إليه لو وجهوا نحوه توجيهًا صحيحًا، وذلك لا يستلزم أكثر من

أن يتفرغ نفر من العلماء الصالحين العاملين، والوعاظ
الصادقين المخلصين لدراسة هذه المجتمعات، والإفادة من
هذه الثروة العلمية، وتخليصها مما علق بها، وقيادة هذه
الجماهير بعد ذلك قيادة صالحة.

وأذكر أن السيد توفيق البكرى - رحمه الله - فكر في
ذلك، وقد عمل دراسات علمية عملية لشيوخ الطرق وألف
لهم فعلاً كتاباً في هذا الباب، ولكن المشروع لم يتم ولم
يهتم به من بعده الشيوخ، وأذكر من ذلك أن الشيخ عبد
الله عفيفي - رحمه الله - كان معنياً بهذه الناحية وكان
يطيل الحديث فيها مع شيوخ الأزهر وعلماء الدين، ولكنه
كان مجرد تفكير نظري لا أثر للتوجه إلى العمل فيه، ولو
أراد الله والتقت قوة الأزهر العلمية بقوة الطرق الروحية
بقوة الجماعات الإسلامية العملية، لكانت أمة لا نظير لها،
تُوجه ولا تتوجه، وتقود ولا تتقاد، وتؤثر في غيرها ولا

يؤثر شيء فيها، وترشد هذا المجتمع الضال (تأمل) إلى
سواء السبيل.

الزيارات والصلوات^(١):

وكنا في كثير من أيام الجمع التي يتصادف أن نقضيها
في دمنهور، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء القريبين من
دمنهور، فكنا أحياناً نزور دسوق فتمشى على أقدامنا بعد
صلاة الصبح مباشرة، حيث نصل حوالى الثامنة صباحاً،
فنقطع المسافة فى ثلاث ساعات وهى نحو عشرين كيلو
متراً، ونزور ونصلى الجمعة، ونستريح بعد الغداء،
ونصلى العصر ونعود أدرجنا إلى دمنهور حيث نصلها
بعد المغرب تقريباً.

وكنا أحياناً نزور عزبة النوام حيث دفن فى مقبرتها
الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية

(١) الدعوة والداعية، ص: ٣١، ٣٢.

والمعروفين بصلاحهم وتقواهم، ونقضى هناك يوماً كاملاً
ثم نعود.

ويعرف الشيخ البنا الصوفى بقوله: الصوفى متخفف
يجب عليه أن يقطع علائقه بكل ما سوى الله، وأن يجاهد
فى هذه السبيل ما أمكنه من ذلك.

تدارس علوم الصوفية^(١):

يضاف إلى ذلك أن ليلة الجمعة فى منزل الشيخ شلبى
الرجال بعد الحضرة يتدارس فيها كتب التصوف من
(الإحياء) وسماع أحوال الأولياء والياقوت والجواهر
وغيرها، ونذكر الله إلى الصباح كانت من أقدس مناهج
حياتنا، وكنت قد تقدمت فى صناعة الساعات وفى صناعة
التجليد أيضاً، أفضى فترة النهار فى الدكان صانعاً وفترة
الليل مع الإخوان الحصافية ذاكراً، ولهذه المآرب جميعاً

(١) الدعوة والداعية، ص ٣٧.

لم أكن أستطيع أن أتخلف عن الحضور يوم الخميس إلا
لضرورة فاهرة، وكنت أنزل من قطار الدلتا إلى الدكان
مباشرة، فأزاول عملي في الساعات قبيل المغرب حيث
أذهب إلى المنزل لأفطر إذ كان من عاداتنا صوم الخميس
والاثنين، ثم إلى المسجد الصغير بعد ذلك للدرس
والحاضرة، ثم إلى منزل الشيخ شلبي الرجال أو منزل
أحمد أفندي السكرى للمدارسة والذكر، ثم إلى المسجد
لصلاة الفجر، وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب إلى
الدكان وصلاة الجمعة والغداء، والدكان إلى المغرب
فالمسجد فالمنزل وفي الصباح إلى المدرسة، وهكذا
دواليك في ترتيب لا أذكر أنه تخلف أسبوعًا إلا لضرورة
طارئة.

التهيؤ لدخول دار العلوم^(١):

كانت أيام مدرسة المعلمين - فى سنواتها الثلاث -
أيام استغراق فى التصوف والتعبد..
حياة عام^(٢):

كنت سعيداً بالحياة فى القاهرة هذا العام فقد ظهر
ترتيبى متقدماً فى الامتحان، ومنحتنى المدرسة المكافأة
المادية المقررة وهى جنيه فى الشهر خصصته لشراء
الكتب غير المدرسية، ولا زال كثير من كتب مكتبتى الآن
من أثر هذا الجنيه الذى لازمنى طوال حياتى المدرسية..
كما كنت أجد متعة كبرى فى الحضرة عقب صلاة
الجمعة من كل أسبوع فى منزل الشيخ الحصافى، ثم فى
كثير من ليالى الأسبوع فى منزل الخليفة الأول للشيخ

(١) الدعوة والداعية، ص ٣٨.

(٢) الدعوة والداعية، ص ٥١.

الحصافى على أفندى غالب، أو سيدنا الأفندى كما نسميه دائماً، قوّاه الله، وجزاه عنا خيراً، وكنت أ كاتب الأخ أحمد أفندى السكرى ويكاتبنى يوماً تقريباً، وأزور البلد فى فترة الأجازات فأقضيها معه ومع الإخوان الحصافية بالمحمودية وفى ذلك بلاغ.

وهكذا كانت حياتى العلمية، والعملية والروحية مستقرة
لا يعكرها شيء والحمد لله.

ويقول (ص: ٥٣): وبالرغم من اشتغالنا الكامل بالعبادة والذكر واستغراقنا فى الطريق بأورادها ووظائفها وأحفالها إلا أننا كنا دائماً نتعشق العلم والقراءة، وننفر من كل ما يتنافى مع ظاهر الدين وأحكامه، وننكر على كثير من المنتسبين للطرق خروجهم على تعاليم الإسلام، فكنا مريدين أحراراً فى تفكيرنا، وإن كنا مخلصين كل الإخلاص فى تقديرنا للعبادة والذكر وآداب السلوك.

الاحتفال بالمناسبات الدينية

أولاً : المولد النبوي^(١)

وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب بعد الحضرة، كل ليلة من أول ربيع الأول إلى الثاني عشر منه من منزل أحد الإخوان، وتصادف أننا في أحد الليالي، كان الدور على أخينا الشيخ شلبي الرجال، فذهبنا على العادة بعد العشاء فوجدنا البيت منيراً نظيفاً مجهزاً ووزع الشربات والقهوة والقرفة على مجرى العادة، وخرجنا بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام، وبعد العودة جلسنا مع الشيخ شلبي قليلاً، وأردنا الانصراف فإذا هو يقول في ابتسامة رقيقة لطيفة: إن شاء الله غداً تزورونني مبكرين لندفن روحية.. وروحية هذه وحيدته وقد رزقها بعد إحدى

(١) الدعوة والداعية، ص ٥٤.

عشرة سنة من زواجه تقريباً، وكان بها شغفاً مولعاً ما كان يفارقها حتى فى عمله، وقد شَبَّت وترعرعت، وأسامها روحية؛ لأنها كانت تحتل من نفسه منزلة الروح، فاستغربنا وسألناه: ومتى توفيت؟.. فقال: اليوم قبيل المغرب.. فقلنا: ولماذا لم تخبرنا فنخرج من منزل آخر بالموكب؟.. فقال: وما الذى حدث، لقد خفف عنا الحزن، وانقلب المأتم فرحاً فهل تريدون نعمة من الله أكبر من هذه النعمة؟.. وانقلب الحديث إلى درس تصوف يلقى عليه الشيخ شلبى ويعلل وفاة كريمته بغيرة الله على قلبه، فإن الله يغار على قلوب عباده الصالحين أن تتعلق بغيره، أو تنصرف إلى سواه.

ثانياً: الإسراء والمعراج^(١)

وفى ليلة من ليالى الإسراء والمعراج كنت ألقى

(١) الدعوة والداعية، ص ١٢٧.

محاضرة بهذه المناسبة وقلت: إن الإسراء والمعراج
تكريم لرسول الله ﷺ، وإنما إذا تصورنا أن للروح سلطاناً
قوياً على البدن بحيث يمكن أن يقال: إن روح رسول الله
ﷺ في هذه الليلة المباركة كانت من القوة والإمداد
والإتساع بحيث تسلطت على بدنه المبارك فعطلت
نواميس المادة وجعلته في غنى عن الطعام والشراب
والهواء والنفس والتأثر بالاحتكاك والمسافات.. إلخ، فإن
ذلك لا يكون مستبعداً ويقرب معجزة الإسراء إلى أفهام
الذين يستغربونها، وقلت: إن شوقى رحمه الله أشار إلى
هذا فقال:

يتساءلون وأنت أكرم مرسل

بالروح أم بالهيكل الإسراء؟

بهما سریت مطهرین كلاهما

روح وروحانية وضياء

وانتهى الحفل والناس كلهم سرور بما سمعوا.

ثالثاً: ذكرى الهجرة^(١)

وفى ذكرى الهجرة سنة ١٣٤٨هـ أقامت جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة حفلاً جامعاً كان من خطبائه كثير من الفضلاء، وقد ألقى كلمة فى هذا الحفل تحت عنوان: (ذكرى يوم الهجرة والدعوة الإسلامية وأثرها)، ونشرت فى رسالة المنتقى من محاضرات جمعية الشبان المسلمين.

وكان من الحاضرين فى هذا الجمع السيد محمد زبارة الحسن اليمنى أمير قصر السعيد فى صنعاء حينذاك.. فلقينى بعد المحاضرة وتحدثنا طويلاً عن مصر وعن اليمن وعن انتشار الإلحادية والإباحية المستشرى فى ذلك الوقت ووجوب الوقوف أمامه بكل القوى، ومن ذلك العهد

(١) الدعوة والداعية، ص ١٣١.

توطدت بيننا صداقة قوية، وعرض على سيادته أن أعمل مدرساً باليمن، ودارت مخاطبات بهذا الخصوص بينه وبين جلالة الإمام وبينه وبين سيف الإسلام محمد - رحمه الله - الذى كان محباً للإصلاح، راغباً فيه أشد الرغبة، حريصاً على أن تسير اليمن إليه بخطوات فسيحة، وجرت مكاتبات بينى وبين سيف الإسلام محمد - رحمه الله - بهذا الخصوص وتعارفنا على البعد، ولكننا لم نستطع إنفاذ فكرة الذهاب إلى اليمن للعقبان الرسمية المتقدمة، إذ كانت السياسة المضروبة على مصر إذ ذاك ألا تتصل بالبلاد العربية بحال.

وزار الأستاذ سيد محمد زبارة الإسماعيلية، ومكث معنا بها ثلاثة أيام وشاهد منشآت الإخوان ومؤسساتهم: معهد حراء الإسلامى، ومدرسة أمهات المؤمنين، وفرقة الرحلات، ورأى الإخوان فى دروسهم ومحاضراتهم،

ولمس ما تفيض به نفوسهم من حب وإخاء وغيره على الإسلام والمسلمين، فأعجب بذلك كله أيما إعجاب، واستمرت هذه الصلة إلى الآن، وما كان لله دام واتصل.

طريق التصوف^(١):

ومن الموضوعات التي أتحننا بها بمناسبة آخر العام الدراسي، وكان بالنسبة لى ولفرقتى، العام النهائى، سنة ١٩٢٧م، هذا الموضوع: إشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقها.

وقد أجبته عنه بهذا الموضوع: أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها فى إسعاد الناس وإرشادهم، وتستمد سرورها من إدخال السرور عليهم، وذود المكروه عنهم، وتعد التضحية فى سبيل الإصلاح العام ربحاً وغبيمة، والجهاد فى الحق والهداية - على

(١) الدعوة والداعية، ص ٦٥.

توعر طريقهما وما فيه من مصاعب ومتاعب - راحة ولذة، وتنفذ إلى أعماق القلوب فتشعر بأدوائها، وتتغلغل في مظاهر المجتمع، فتتعرف ما يعكر على الناس صفاء عيشتهم ومسرة حياتهم، وما يزيد في هذا الصفاء، ويضاعف تلك المسرة، لا يحدها إلى ذلك إلا شعور بالرحمة لبنى الإنسان، وعطف عليهم، ورغبة شريفة في خيرهم، فتحاول أن تبرئ هذه القلوب المريضة، وتشرح تلك الصدور الحرجة، وتسرها هاته النفوس المنقبضة، لا تحسب ساعة أسعد من تلك التي تنفذ فيها مخلوقاً من هوة الشقاء الأبدى أو المادى، وترشده إلى طريق الاستقامة والسعادة.

وأعتقد أن العمل الذى لا يعدو نفعه صاحبه، ولا تتجاوز فائدته عامله، قاصر ضئيل، وخير الأعمال وأجلها ذلك الذى يتمتع بنتائجه العامل وغيره، من أسرته

وأمتة وبنى جنسه، وبقدر شمول هذا النفع يكون جلاله
وخطره، وعلى هذه العقيدة سلكت سبيل المعلمين؛ لأنى
أراهم نورًا ساطعًا يستتير به الجمع الكثير ويجرى فى
هذا الجمع الغفير، وإن كان كنور الشمعة التى تضيء
للناس باحتراقها.

وأعتقد أن أجلَّ غاية يجب أن يرمى الإنسان إليها،
وأعظم ربح يربحه أن يحوز رضا الله عنه، فيدخله
حظيرة قدسه، ويخلع عليه جلابيب أنسه، ويزحزحه عن
جحيم عذابه، وعذاب غضبه.. والذى يقصد إلى هذه
الغاية يعترضه مفرق طريقين، لكل خواصه ومميزاته،
يسلك أيهما شاء:

أولهما: طريق التصوف الصادق، الذى يتلخص فى
الإخلاص والعمل، وصرف القلوب عن الاشتغال بالخلق
خيرهم وشرهم، وهو أقرب وأسلم.

ثانيهما: طريق التعليم والإرشاد، الذي يجامع الأول في الإخلاص والعمل، ويفارقه في الاختلاط بالناس، ودرس أحوالهم وغشيان مجامعهم ووصف العلاج الناجح لعلاهم. وهذا أشرف عند الله وأعظم، ندب إليه القرآن العظيم، ونادى بفضله الرسول الكريم ﷺ، وقد رجح الثاني^(١) - بعد أن نهجت الأول - لتعدد نفعه، وعظيم فضله؛ ولأنه أوجب الطريقتين على المتعلم وأجملهما بمن فقه شيئاً ﴿لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

رجال الطرق الصوفية^(٢)

وأما رجال الطرق الصوفية فقد كانوا كثرة كثيرة فى

(١) نلاحظ هنا الاتساع الواضح من الصوفية التي أظهر أنه من أهلها، وإعلان وهابيته المستترة تحت جنح منهج التعليم والإرشاد، وكأن التصوف يخلو منهما!!

(٢) الدعوة والداعية، ص ٨٠.

هذا البلد الطيبة - الإسماعيلية - قلوب أهله، وكان يتردد عليهم الكثير من الشيوخ، ولا أنسى مجالس الشيخ حسن عبد الله المسلمى والشيخ عبود الشاذلى، والشيخ عبد الوهاب الدندراوى وغيرهم، وفى هذه الفترة زار الإسماعيلية الشيخ عبد الرحمن سعد وهو من خلفاء الشيخ الحصافى، فهو أخونا فى الطريق حينذاك، وكان يدرس ويعظ، ويرأس بعد ذلك حلقة الذكر، فقصد المسجد ولم أكن أعرفه ولا يعرفنى ودرس ووعظ، ثم دعا الناس إلى الذكر، فرأيت أسلوب الطريقة الحصافية وتعرفت إليه أخيراً.

ولكن الحق أننى لم أكن متحمساً لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها: أننى لا أريد الدخول فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى، وأننى لا أريد أن تكون محصورة فى نفر من المسلمين، ولا فى ناحية من

نواحي الإصلاح الإسلامى، ولكنى حاولت جاهداً أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد، وهى أركان الدعوة الإسلامية الجامعة، ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه، ولكنى مع هذا أكرمت الشيخ عبد الرحمن وأحسنت استقباله، ودعوت الراغبين فى الطريق إلى الأخذ عنه والاستماع إليه حتى سافر.

كما تعرفت فى هذه الفترة إلى السيد محمد الحافظ التيجانى الذى جاء إلى الإسماعيلية خصيصاً ليحذر من دسائس البهائيين ومكايدهم، وقد كان لهم فى هذا الوقت دعوة ودعاة فى هذه النواحي، تقوى وتشتد وتنتشر، فأبلى البلاء الحسن فى تحذير الناس منهم، وكشف خدعهم وأباطيلهم والرد عليهم، وقد أعجبت بما رأيته من علمه وفضله ودينه وغيرته وناقشته طويلاً - وكنا نسهر ليالٍ عدة - فيما يأخذ الناس على التيجانية من غلو ومبالغة

ومخالفات، فكان يؤول ما يحتمل التأويل، وينفى ما
يصطدم بالعقيدة الإسلامية الصافية ويبرأ منه أشد البراءة.
كانت طريقتى مع هؤلاء الشيوخ الكثيرين الذين
يزورون الإسماعيلية أن أتأدب معهم بأدب الطريق
وأخاطبهم بلسانها، ثم إذا خلونا معاً شرحت لكل منهم
حال المسلمين وجهلهم بأوليات دينهم، وتفكك رابطتهم،
وغفلتهم عن مصالحهم الدينية والدنيوية، وما يهددهم من
أخطار جسام فى كيانهم الدينى بزحف الإلحاد والإباحية
على معسكراتهم، وفى كيانهم الدنيوى بغلبة الأجانب على
خيرات بلادهم، وكان المعسكر غرب الإسماعيلية،
ومكاتب شركة قناة السويس فى شرقها مدداً لا ينضب من
الأمثلة على ذلك، أذكرهم بالتبعة التى على كاهلهم لهؤلاء
الأتباع الذين وتقوا بهم وأسلموهم قيادهم، ليدلوهم على الله
ويرشدوهم إلى الخير، ثم أطلب إليهم فى النهاية التربية

الإسلامية الصحيحة، وجمع كلمتهم على عزة الإسلام
والعمل على إعادة مجده.

ولا زلت أذكر مقابلة قابلت فيها الشيخ عبد الوهاب
الندراوى رحمه الله، فرأيت شاباً فى سنى تقريباً، فى
العشرين أو الحادية والعشرين من عمره، وفيه صلاح
وخير، فجلست معه موقراً إياه كل التوقير، حتى إذا انتهى
المجلس العام طلبت أن أخلو به فى حجرة خاصة، ولما
دخلت خلعت طربوشى فوضعتة على كرسى وخلعت
عمامته ووضعتها إلى جوار الطربوش، وهو يستغرب
هذا العمل الذى لم يفاجأ به من أحد من قبل، وقلت له: يا
أخى لا تنتقدنى فى هذا العمل فإنما فعلته لأقضى على
الفارق الشكلى بينى وبينك، ولأخاطب فيك الشاب المسلم
عبد الوهاب الندرأوى فقط، أما الشيخ عبد الوهاب
الندرأوى فقد تركناه فى المجلس العام، إنك يا أخى فى

العشرين من عمرك، وكلك والحمد لله شباب وقوة
وحماسة.. ها أنت ذا ترى هذه الجموع، التي جمعها الله
عليك، لتقضى الليل في ذكر ونشيد، ثم لا شيء بعد ذلك،
والكثير منهم شأنه من شأن غيره من المسلمين؛ جهالة
بالدين، وبعد عن الشعور بعزة الإسلام وكرامته فهل
ترضى هذا؟.

فقال: وماذا أصنع؟!.

قلت: العلم والتنظيم والرقابة، وتربيتهم على سيرة
سلفنا الصالح، وتاريخ أبطالنا المجاهدين، وكان كلام
طويل بيننا حول هذه المعانى، تأثر به الشيخ تأثرًا عميقًا،
وتعاهدنا معًا على العمل، أخوين لخدمة الإسلام العام
وتركيز دعوته في النفوس، كل في ميدانه ومحيطه،
وأشهد أنه ما جاء الإسماعيلية بعد ذلك إلا بدأ بزيارتي
وتطميني بأنه على العهد مقيم حتى توفى رحمه الله

وجزاه عن الوفاء خيرًا.

الخلاصة:

وخلاصة هذا الفصل أن الشيخ حسن البنا الساعاتى وجماعته تقربت من الصوفية فى البداية؛ لأن المجتمع المصرى كان صوفيًا، ويفظ أى جسم غريب عن التصوف، فأعلن الشيخ وأتباعه صوفيتهم فى البداية ثم تحولوا بعد ذلك، وتكروا للصوفية والتصوف، وفاء للوهابية والمدد النجدى، تنفيذًا للمخطط الإنجليزى للملك عبد العزيز آل سعود!!.

الفصل الثانى

الإخوان مع حسن البنا

نشرت جريدة الأهرام فى ٢٠ يناير ١٩٣٠م، أن الإخوان يقدمون للبيئة المصرية معهدًا علميًا متكاملًا بإنشائها قسمًا ليليًا للغات الحية، وآخر للفنون الجميلة نذكر منها: الموسيقى الشرقية وفن التمثيل من الناحية الأخلاقية، وأنشأت قسمًا للحفر، بالإضافة إلى القسم الرياضى، وبجانب هذه الأقسام اهتمت الجماعة بتكوين مكتبة عامرة بالمؤلفات النفيسة والمطبوعات. ونتجاوز هذه الملاحظة عن نشاط الجماعة ونتركها كعلامة استفهام.

التسليم الكامل للبنا

ماذا يمكن أن يحدث عند ما ينصهر فى بوتقة واحدة ولاء الصوفى لشيخه، وبيعة المريد لإمامه، بوفاء

السياسى لزعيمة؟

الإجابة: يحدث ذلك النوع الغريب من الحب فى حالة التسليم الكامل للشيخ أو للإمام أو للسياسى، ولكن الغريب أن زعماء الإخوان يخلون التسليم الكامل للبنا وينكرونه على الصوفية!!..فها هو محمود النيدى فى خطاب له فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين ١٣٥٧هـ يقول للبنا: (إرم بنا حيث شئت، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك).

وتحدث عنه واحد من كبار قادة الإخوان الأستاذ حسن عشاوى (مجلة الدعوة ١٥/٢/١٩٥٥م): (كان كل منا يشعر أنه يقف منه موقف المرید من شيخه، وقد أسلم له القيادة ليأخذ بيده إلى الله).

ويقول مؤرخ آخر من مؤرخى الإخوان هو موسى إسحاق الحسينى: (إن سيطرة البنا على أتباعه كانت

مطلقة كاملة إلى درجة تصل إلى السحر).

الديكتاتور والجماعة

عندما كان الشيخ البنا منقولاً من الإسماعيلية إلى القاهرة أبلغ أتباعه النائب العام ضده على أساس أنه قد بدّد أموال الجماعة، ولاحقوه بالاتهامات لدى ناظر مدرسته بالقاهرة، وهنا ظهرت لأول مرة قوة الردع البدني في الجماعة، حيث تجمع عدد من أصدقاء البنا واعتدوا على المنشقين بالضرب وقبض عليهم وقدموا للمحاكمة^(١).

ويظهر الفكر الإرهابي واضحاً من كلام البنا نفسه حينما يقول: (إن المخالفين له قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك) ثم لا يلبث أن يسميهم بالخوارج ويؤكد ضرورة أخذهم بالحزم فيقول: (إن من يشق عصا الجمع فاضربوه

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص: ١٥٩.

بالسيف كائنًا من كان) ولعلمهم قد أطاعوا شيخهم كثيرًا في هذا الصدد.

ولقد نظم البنا جماعته بما يجعله هو المسيطر الأوحد عليها، وبما يجعل سائر أجهزة التنظيم ومستوياته ولجانه مجرد كيانات استشارية يفرض عليها الأمر ويجب عليها السمع والطاعة.

ويشهد صالح عشاوى - وهو من كبار قادة الإخوان - أن البنا قال: (إن الشورى ليست ملزمة، والمرشد أن يأخذ برأى مكتب الإرشاد ويجوز أن يخالفه)^(١).

ويقول هنداوى دوير - أحد قادة الجهاز السرى للإخوان - فى شهادته أمام محكمة الشعب: (الأستاذ البنا ترك ١٠٠ شخص أو أكثر قد بعض ولا يدينون لأحد بالولاء والأستاذ البنا كان غاوى بترينات، يعنى مثلاً

(١) مجلة الدعوة عدد ١٢/٢/١٩٥٢م.

المحل في الضاهر والبتريئة في شارع فؤاد؛ لأنه كان يضم أناسًا لا صلة لهم بالإخوان المسلمين^(١).

تشبيهه البنا نفسه بالرسول ﷺ

كان حديث الثلاثاء وسيلة لهيمنة البنا على أتباعه والذي بدأ عام ١٩٣٩م بالمركز العام للجماعة، وكانوا يحتشدون بالآلاف في فناء المركز العام ثم يطلع عليهم البنا في جلبابه الأبيض وعباءته البيضاء وعمامته الجليلة بينما تتطلق الحناجر بالهتاف: الله أكبر والله الحمد^(٢).

وفي خطبه كان البنا يستهدف الإمعان في تعميق المناخ السلفي (الوهابي)، بل ويصل الأمر إلى تشبيه نفسه بالرسول، وقد سأله أحد الحاضرين يومًا - وربما في محاولة لإحراجه - من أين تتفق؟ - وكان قد ترك

(١) أنور الجندي - الإخوان المسلمين في ميزان الحق، ص: ٦٩.

(٢) الهلال - إبريل ١٩٧٧م.

وظيفته الحكومية - فقال فى هدوء: (كان محمد يأكل من مال خديجة، وأنا أكل من مال أخو خديجة) يقصد صهره عبد الكريم منصور^(١).

المناورَة

هى أسلوب البنا فى التعامل السياسى

الذين تابعوا الحياة السياسية للشيوخ يرون كيف استخدم المناورة أسلوبًا لتعامله السياسى، وربما قاده ذلك إلى بعض (اللا مبدئية)، ويحكى صالح عشاوى- وهو واحد من المقربين من المرشد- أنه هاجم ذات مرة إحدى الهيئات الرسمية فطلبت إليه الحكومة أن يعدل عن هجومه أو تقدمه للمحاكمة، فرفض العدول، ولكن الشيخ البنا نصحه قائلاً: اكتب يا صالح ما يطلب منك.. إنه الغموض كمدرسة وخطة فى العمل السياسى سوف نرى

(١) الهلال- إبريل ١٩٧٧م.

آثارها في صفحات قادمة.

ونصيحته لصالح عشاوى تقودنا إلى أحد مفاتيح شخصية الشيخ، وتذكرنا أنه هو نفسه قد كتب ذات يوم ما طلب منه.. كتب يدين رجاله وهم رهن القيد ويصفهم بأنهم (ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين) مؤملاً بموقف (لا مبدئى) أن ينفذ بعضاً من بقايا الجماعة فى عام ١٩٤٨م، لكن الواقع أثبت أن خصومه كانوا أكثر منه ذكاء إذ أيقنوا أن خطوة واحدة إلى الخلف من القائد سوف تدمر الجيش كله وتدفع السجناء إلى الانهيار والاعتراف وقد كان. ومرة أخرى نعود إلى ملف الشيخ.

أول التبرعات للجماعة من الفرنسيين

كانت الجماعة فى أيامها الأولى بالإسماعيلية تحاول أن تجمع تبرعات لبناء مقر لها، وجاءت أولى التبرعات من شركة قناة السويس خمسمائة جنيه (وتلك علامة

استفهام نسجلها ونمضى)؛ لأن الفرنسيين ليسوا بهذه الدرجة من السذاجة حتى يتبرعوا لرجل من المفروض أنه يحاربهم، ويفزع بعض المخلصين من أتباعه ويتساءلون حول جواز قبول تبرع من شركة استعمارية وبناء مقر ومسجد بهذا المال، ويجد الشيخ المخرج السهل هذا مالنا وهؤلاء غاصبون^(١).

الإخوان يهاجمون الأزهر والصوفية

إذا كان البنا قد أخذ من الأزهريين لغتهم وحجتهم، ومن الصوفيين إيمانهم، فإنه لم يقبل منهم ولا من غيرهم مشاركة له ولجماعته في كونها جماعة المسلمين، أى: صاحبة الحق في تمثيل مصالح جموع المسلمين، فالأزهريون قادتهم وجمهورهم في نظر الشيخ دينيون رسميون، بل إن الشيخ محمد الغزالي، يغالى في هجومه

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٠٦.

على علماء الأزهر قائلاً: إن إسلام الأزهر هو الإسلام
الذى يدعمه الاستعماريون(١).

وإذا كان الشيخ البنا يرى أن فشل الأزهر فى رسالته
يرجع إلى أنه يهتم بتخريج علماء حفظوا مواد العقيدة عن
ظهر قلب ولم يستوعبها روحياً(٢).

فإن محمد الغزالي قد تطرف إلى درجة القول بأنه
يعرف رجالاً من شيوخ الأزهر يعيشون كما تعيش ديدان
البلهارسيا والإنكلستوما من دماء الفلاحين والبؤساء(٣).

أما الصوفيون فقد لاينهم الشيخ البنا فى البداية -
وكذلك عدد كبير من مريديه - وإن كان حذر منهم
تحذيرات خفية تنفيذاً للمخطط الوهابى بتحويل مصر من

(١) راجع كتاب الإسلام والاستبداد السياسى، القاهرة ١٩٥٠م، ص: ١٢.

(٢) عبد القادر عودة - الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ط.
١٩٥٢م، ص: ٢٢.

(٣) الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسمالية- للغزالي، ص: ٢٧.

التدين السنى الصوفى إلى التدين الوهابى. وأتى الشيخ الغزالى كعادته ليكمل حلقة الهجوم، فالصوفية فى نظره وفى نظر جماعة الإخوان المسلمين من بقايا عصور الإقطاع تستخدم لتخدير الجماهير^(١).

البيعة الزائفة

استمد البنا قوته المهيمنة على الجماعة من إمساكه بزمام كل أمر من أمور الجماعة ما خفى منها وما ظهر، ومن الطاعة العمياء التى فرضها على أعضاء الجماعة كما يقول البنا فى رسالة التعاليم: (بتعين على العضو الثقة بالقائد والإخلاص والسمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره).

ولكن من حق الإخوان علينا أن نعود بالأمر إلى جذوره الأصلية، فالجوهر فى كل ذلك هو فكرة البيعة،

(١) المرجع السابق، ص: ٤٧.

وقسم البيعة عند الإخوان يقول: أعاهد الله العلى العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد فى سبيلها، والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة فى المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك، وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل^(١).

وتستند فكرة البيعة إلى حديثين شريفين، الأول يقول: (من مات وليس فى عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية)^(٢). ويقول الثانى: (من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ونازعه فاضربوا

(١) قانون النظام الأساسى للإخوان الذى أقرته الجمعية العمومية فى ١٩٤٨م، ص: ٧.

(٢) رواه مسلم فى صحيحه: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ح ٥٨ - ١٨٥١.

عنق الآخر)(١).

ونلاحظ أن هذه البيعة ليست لله ولا لرسوله بل هي لجماعة الإخوان المسلمين، وكأن الإسلام انحصر في هذه الجماعة، ومن ليس فيها فليس بمسلم، ويظهر ذلك واضحاً في كلام الشيخ البنا في مذكرات الدعوة والداعية حيث يقول: (على كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة).

ونلاحظ هنا أن الجماعة تصدر الدين لمصلحتها، وبهذا لا تصبح مجرد جمعية تطبق الدين كما يحاول غيرها أن يفعل، وإنما تؤكد أن منهجها وحده هو الإسلام الصحيح، ومن ثم فإن من يقف ضدها كجماعة يكون

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ح٤٦ - ١٨٤٤.

خارجًا على الإسلام ذاته، إنه مبدأ يسعى للسيطرة على الإسلام لا الاتصاف به، إنها عقدة شعب الله المختار!! وبهذا يمكننا أن نفسر حملات القتل والاعتقال التي نظمها أعضاء الجماعة ضد خصومها، فإن خصوم الجماعة هم ببساطة خصوم الإسلام ذاته، والخارجون عليها والرافضون لها ليسوا سوى مجرد رافضين (لجماعة المسلمين) والرافض لجماعة المسلمين جزاؤه القتل.

والحقيقة أن البيعة لا يأخذها إلا رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح: ١٠). أو يأخذها الوارث المسمى في كل عصر لله ولرسوله كما قال ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)^(١) وكما

(١) رواه أبو داود في سننه: كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ح ٣٦٤٣.

قال: (إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ،
فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ) (١).

والوارث المحمدي هو الذي يعلم أهل زمانه علوم
الرسالة الخمسة كما قال تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
وَيُرَكِّبُكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١). ولكن إمام الإخوان المسلمين
الذي كان يأخذ البيعة لم يترك أثرًا واحدًا يدل على أنه
علمهم هذه العلوم الخمسة، فلا نجد له تراثًا علميًا سوى
بعض الرسائل والمذكرات الخاصة بحياته.

وبالتالي فقد غرر بكل الذين بايعوه، وكان من الواجب
عليه بدلًا من أن يحجبهم عن إمام عصرهم أن يبحث
معهم عن إمام العصر حتى يبايعوه جميعًا، وهذا الإمام
هو المعنى بقول المصطفى صلى الله عليه وآله: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ

(١) التخريج السابق.

الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا (١).
والمعنى بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾
(الإسراء: ٧١). قال سيدنا على عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أى بإمام
عصرهم) (٢).

ويذكر الألوسى فى تفسيره روح المعانى أنه هو النور
فى الدنيا والآخرة فيقول فى معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠). أى من
لم يجعل الله له نوراً فى الدنيا بمعرفة إمام زمانه، فما له
من نور يوم القيامة.

إسلام المظاهر

بدأت القاهرة ومدن القطر المختلفة تشهد رجالاً

(١) رواه أبو داود فى سننه: كتاب الملاحم، باب ما يذكر فى قرن المائة،
ح ٤٢٩٣.

(٢) مقدمة تفسير القرطبى.

يرتدون زيًا جديدًا عبارة عن شال يضعونه فوق الكتفين
وعليه شارة الجماعة، وكثيراً ما كان الدعاة من أعضاء
الجماعة يزود هذا الشال بجيب كبير يتدلى على الصدر
ويوضع فيه مصحف ظاهر^(١).

ونلاحظ أن الإخوان المسلمين كانوا يميلون إلى إسلام
الشعارات والمظاهر، وكأن المسلم إذا لم يلبس شال
ويضع مصحف في جيبه يتدلى على صدره سيكون
إسلامه ناقصاً، مع أن الهدف من الطاعة رضاء الحق
وليس رضاء الخلق.

وهذا الزي الإخواني كان أول استخدام مصرى لفكرة
الزي الحزبي الموحد والذي كان امتداداً أو تقليدًا لزي
التنظيمات الفاشية والنازية التي اجتاحت أوروبا في ذلك
الحين.

(١) عبد الباسط البنا - تاج الإسلام وملحمة الإمام.

الهدف كرسى الحكم

إن جماعة الإخوان لبست ثوب الإسلام لتحقيق به هدف الوهابية المنشود وهو الوصول إلى كرسى الحكم والانطلاق نحو العالم عن طريق مصر، وسوف تبرز لنا الصفحات القادمة حقيقة هذا الكلام بوضوح تام.

ونلاحظ أن الشيخ البنا فى المؤتمر الخامس للإخوان عام ١٩٣٩م يحدد الطبيعة الشاملة لجماعته فهى (دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، ومنظمة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية)^(١).

وأكد البنا أن جماعته ترفض التدخل فى الخلافات المذهبية التى بين الأعيان والأعلام والأحزاب والجماعات وأنها تركز جهدها للتنظيم والعمل والسعى الدائب لكسب

(١) المؤتمر الخامس، ص: ١٤.

أعضاء جدد(١).

وإذ يحاول بعض أتباعه من الشبان والمتسرعين والقلقين رفض المنهج المتأني والحذر الذي يرسمه الشيخ بعناية وحرص، فإنه يحدثهم قائلاً: إن الطريق ما زال طويلاً وشاقاً، ويحدد لهم توقيت الهجوم العام وقواته.. (فى الوقت الذى يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسياً وروحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإنى فاعل إن شاء الله)(٢).

نحن الآن نفتح صفحة جديدة.. صفحة ما بعد المؤتمر

(١) المؤتمر الخامس، ص: ١٦.

(٢) المؤتمر الخامس، ص: ٢٤.

الخامس.. كل ما قبل ذلك كان تحضيرًا أو إعدادًا.. أما اليوم فهو القول الفصل.. هو بدء التنفيذ، كان مجرد إعداد للثلاثمائة كتيبة استعدادًا لخوض لجاج البحر واقتحام عنان السماء.. ويا لها من أوهام!!.

ومن أجل الهدف المنشود - وهو كرسى الحكم - يتعاون الإخوان مع من يرونه سيوصلهم لهذا الهدف حتى وإن كان خائنًا لبلده ووطنه أمثال صدقى أو غيره، بل ووصل الأمر إلى التعاون مع النصارى وهذا لغز محير!! أبرزته صحيفة الجماعة المسماة بـ (الإخوان المسلمون) الصادرة فى ١٩٤٨/٨/٥م.

ونلاحظ أنه فى عام ١٩٤٨م خاضت صحف الجماعة وشعبها معركة عنيفة ضد المدارس الكاثوليكية، وقد أرسل الأب هنرى عيروط إلى جريدة الإخوان المسلمين رسالة رد فيها على هذا الهجوم، ولكن الجريدة لم تنشر

هذه الرسالة.

وأخيراً نجح الأب عيروط فى مقابلة الشيخ البنا
ونشرت جريدة الإخوان المسلمون موضوعاً عن هذه
المقابلة ركزت فيه على ضرورة اتحاد رجال الأديان ضد
الإلحاد والملحدين.

الغموض والسرية

كان الشيخ البنا يخفى لنفسه وحده كثيراً من المصادر
والشخصيات التى يستمد منها العون كلما أراد، وبحيث
(يكون فى خفاء بعض علاقاته خفاء لبعض جوانب
شخصيته عن الآخرين، وخفاء لبعض مصادر قدرته
ومصادر معرفته)^(١).

ويذكر السادات: أن حسن البنا وحده كان الرجل الذى

(١) إسحاق موسى الحسينى - الإخوان المسلمون كبرى الحركات
الإسلامية المعاصرة، ص: ١١٤.

يعد العدة لحركة الإخوان ويرسم سياستها ثم يحتفظ بها لنفسه، وأن أقرب الناس إليه لم يكن يعرف من خطته شيئاً ولا من أهدافه شيئاً^(١).

ويذكر السادات أن حسن البنا كان يجمع خلال الحرب السلاح ويخزنه بغير أن يطلع أقرب الناس من كبار الإخوان على ذلك.

وكان الجهاز السرى والسلاح مصدرين جديدين من مصادر القوة الطاغية للشيخ، كذلك فإنه فى تنظيم جماعة الإخوان المسلمين تكون الغيبية هى الأخرى سلاحاً فى إطلاق الإمام أو الشيخ.

الأستاذ العقاد يكرر من الإخوان

وهذا الغموض وهذه السرية، وتأييد ديكتاتورية الملك فاروق، والدعم الوهابى لجماعة الإخوان المسلمين، دفعت

(١) أنوار السادات، أسرار الثورة المصرية، ص ٦٦.

كاتبًا إسلاميًا كبيرًا هو الأستاذ عباس العقاد أن يكتب
غاضبًا في صحيفة الدستور عدد ١٩٣٩/٧/٢٧ م كاشفًا
حقيقة جماعة الإخوان المسلمين، فيقول:

(في مصر دعوى ديكتاتورية ليس في ذلك جدال،
والذين يقومون بهذه الدعوة ويقبضون المال من أصحابها
هم الذين يشنون الغارة على الدول الديمقراطية، ويثيرون
الشعور عليها باسم الدين وباسم سورية وفلسطين، ولا
يثيرون الشعور على الدول الأخرى باسم الدين وباسم
ألبانيا وبرقة وطرابلس والصومال، ويسير علينا أن نعرف
بعد ما تقدم من أين تتلقى تلك الجماعات المتدينة أزوادها
ونفقاتها، ولماذا تتوجه بالدعوة المزيفة إلى هذه الوجهة
التي لا وجهة غيرها أمام تلك الجماعات لخدمة
الديكتاتورية، إنها جاسوسية مأجورة تتوارى بالإسلام
للإيقاع ببلاد الإسلام؛ لأن نجاح الدعوة الديكتاتورية لن

ينتهي إلى مصلحة المسلمين ولا إلى سيادة المسلمين،
وإنما ينتهي إلى ضياع المسلمين).

مصادر التمويل!!

عند صدور قرار حلّ الجماعة لاحظ الجميع أن
إجمالي أصول الجماعة: من ممتلكات وشعب وأثاث
وشركات ومدارس ومصانع ومزارع ومشاعل
ومستشفيات وفوق هذا وذاك الجهاز السرى بمخابئه
وأسلحته وأفراده - قد وصل رقماً خيالياً بالنسبة لحزب
سياسى يرتدى عباءة الدين الغالبية العظمى من أعضائه
من الفقراء، والسؤال الملح والمحير هو:

كيف استطاع البنا أن يمول كل هذه المشروعات؟
ومنذ البداية ونحن نلاحظ سلسلة من علامات
الاستفهام، ومنها:

(1) تبرع شركة قناة السويس الاستعمارية للجماعة،

وهو أمر أكده الشيخ البنا نفسه فى كتابه مذكرات الدعوة والداعية.

(٢) إقرار الشيخ البنا أن إسماعيل صدقى قد عرض عليه معونات مالية مقابل خدمات سياسية من الجماعة، وإن كان البنا قد أكد عدم قبوله لهذه المساعدة.

(٣) أن معظم الخلافات التى ثارت فى صفوف الجماعة قد اتخذت من موضوع التمويل ومصادره مادة للهجوم على الشيخ البنا، فمنذ انقسام الإسماعيلية، وحتى انقسام شباب سيدنا محمد، ثم انقسام الشيخ أحمد السكرى كانت المسائل المالية عنصراً مشتركاً.

(٤) أن الشيخ البنا إذ أحكم قبضته على كل أوجه نشاط الجماعة، انفرد تماماً وبشكل خاص بموضوع المالية.

(٥) أن اتهامات كثيرة قد ترددت فى أن تمويلاً خاصاً قد تعاطته الجماعة من الإنجليز تارة، ومن الأمريكين

تارة أخرى.

وبالرغم من كثرة ترديد ذلك الاتهام فى العديد من الأبحاث والمصادر، إلا أن الباحث المدقق يكتفى بطرح هذه التساؤلات ما لم يجد إجابة مؤكدة، ومعها يستمر أيضاً فى طرح سؤال هو:

من أين إذن كل هذا السيل المتدفق من التمويل؟.

ولكى نؤكد أن السؤال الأخير فى محله تماماً، يكفى أن نقدم نموذجاً من استثمارات جماعة الإخوان المسلمين:

- * شركة الإخوان للصحافة ورأسمالها ٥٠,٠٠٠ جنيه.
- * شركة الإخوان للطباعة ورأسمالها ٧٠,٠٠٠ جنيه.

- * شركة الإعلانات العربية ورأسمالها ١٠٠,٠٠٠ جنيه.

- * شركة المعاملات الإسلامية ورأسمالها عام

١٩٤٦م ٣٠,٠٠٠ جنيه.

* شركة الإخوان المسلمين للغزل ورأسمالها ٨,٠٠٠

جنيه.

* شركة التجارة والأشغال الهندسية ورأسمالها

١٤,٠٠٠ جنيه.

* شركة مزرعة العركى وكانت تمتلك ٨٠٠

فدان، (المصور: ١١/١١/١٩٥٥م).

* الشركة العربية للمناجم والمحاجر ورأسمالها

٦٠,٠٠٠ جنيه(١).

فالبدايات شركات الإخوان، والنهائيات شركات الريان،

ونعود ونسأل:

من أين أتت الجماعة بكل هذه الأموال؟.

(١) حسن البناء، د. رفعت السعيد، ط. الخامسة لدار الثقافة الجديدة،

القاهرة، ص: ١١٧-١٢٠.

سؤال يفرض نفسه فالأرقام كبيرة جداً - بأسعار ذلك الوقت - خصوصاً إذا ما أضفنا إليها الأصول الأخرى كالمدارس والمقار والمشاعل.. إلخ. ولعلنا فى الصفحات القادمة نجد المزيد من الضوء نسلطه حول منطقة الغموض هذه فى تاريخ الرجل وتاريخ الجماعة.

علاقة الإخوان ببريطانيا

لقد أثار الكثير من خصوم الإخوان قصصاً عن علاقة مستمرة بين المرشد البنا ثم الهضيبى والسفارة البريطانية، ولسنا نريد أن نزع بأنفسنا فى مجال ترديد تهم بغير أدلة، لكن أحد الباحثين المقبولين من جانب الإخوان، والذى أفردت مجلة الدعوة صفحات كاملة لتقريظه، وهو الباحث الأمريكى ريتشارد ميتشيل يقول: (بعد الإفراج عن البنا فى أكتوبر ١٩٤١م قامت اتصالات بين السفارة البريطانية

والإخوان المسلمين ولا أحد يعلم من قام بهذا الاتصال ولا متى تم).

لكن الإخوان أنفسهم يعترفون بهذا الاتصال ويبررونه بأن الاتصال قد تم بناء على طلب الإنجليز الذين خشوا من التقارب بين الإخوان والقصر!! وتمضى جريدة الإخوان المسلمين قائلة - دون إحساس بأى حرج - إنه بعد مناقشة أفكار وبرنامج الجماعة أبدى الطرف الإنجليزي استعداد السفارة لتقديم مساعدة مالية للجماعة على أداء رسالتها، وتؤكد الجريدة أن البنا قد رفض ذلك^(١).

لكن باحثاً آخر هو دون هيوارث يؤكد - استناداً إلى ما أسماه مصدر إخوانى كان على علاقة بالسفارة

(١) صحيفة الإخوان المسلمون ١٩٤٦/٧/٣١م، وأيضاً الدعوة ١٩٥٤/٥/٢٩م.

البريطانية- أن حسن البنا قد ألمح خلال الاتصالات، ومن خلال عناصر وسيطة (أنه على استعداد للتعاون، وأنه سيكون ممتناً لو أن مساعدة مالية قد قدمت له).

ويعود الباحث إلى التأكيد بأن مساعدات كبيرة قد قدمت لجريدة الجماعة وخاصة في غضون عام ١٩٤٧م كمقابل لمساعدة الجماعة للمخطط البريطاني^(١).

وكعادتنا في هذا البحث فإننا لا نريد أن نمسك إلا بما هو ملموس ومؤكد، فلنأخذ بما هو متيقن منه.

المؤكد أن الشيخ البنا قد اعترف أكثر من مرة كتابة أن جهات متعددة قد عرضت عليه أموالاً لمساعدته على تنفيذ (برنامجه): أكد أن الطاغية إسماعيل صدقي قدم هذا

(١) لاحظ أن عبد العزيز آل سعود توجه إلى مصر للسيطرة عليها بتخطيط بريطاني، وها هم البريطانيون يرؤون ويوجهون الحركة الوهابية الوليدة (الإخوان) في مصر استكمالاً للمخطط الجهنمي.

العرض، وأكد أن السفارة البريطانية قدمت العرض..
وأكد أنه قد رفض العرضين.

حسنًا.. لنأخذ بأقواله، ولنفترض أن العرضين قد
رُفِضا.. لكن يبقى السؤال المحير هو: لماذا؟!.

لماذا يتحمس طاغية كإسماعيل صدقي وسفارة تمثل
الاحتلال الكريه إلى قلب كل مصرى وكل مؤمن من
تقديم معونات مالية للإخوان المسلمين لمساعدتهم على
تنفيذ برنامجهم؟ أى برنامج هذا؟ وما مدى انطباعه على
مصالح صدقي والسفارة البريطانية؟!.. مجرد تساؤل
نتركه بغير رد للقارئ اللبيب.

لكن الوقائع الملموسة، والمواقف العملية لجماعة
الإخوان تؤكد أن لا صدقي ولا السفارة الإنجليزية كانوا
سدجًا عندما قدموا عروضهم.

علاقة الإخوان بالمخائن صدقى

عندما بدأ الطاغية إسماعيل صدقى رحلة خيانتة عام ١٩٤٦م، وعندما وقف الشعب المصرى كله ضده، كان الإخوان يؤكدون فى كل مكان تأييدهم له، ومستخدمين دون حرج الآية الكريمة: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ (مريم: ٥٤). وعندما خطى صدقى خطوة جديدة على طريق الخيانة الوطنية وبدأ مفاوضات حول المعاهدة التى استحققت لعنات الشعب كله (صدقى - بيفن) أيده الإخوان واستخدموا واقعة صلح الحديبية فى تبرير تصرفاته^(١).

ويروى شاهد عيان معروف بحياده ودقته - هو صلاح الشاهد - ما يؤكد ذلك فيقول: إن صدقى عندما توصل إلى اتفاقية (صدقى - بيفن) توهم أن الإخوان

(١) محمد جلال - مصريون لا طوائف، ص: ٦١.

المسلمين قاعدة شعبية ذات وزن، فاستدعى المرشد العام بعد وصوله من لندن بساعتين، وأطلعته على مشروع الاتفاقية قبل أن يطلع عليها النقراشى وهيكل المشاركين له فى الحكم، وحصل على موافقته على المشروع.. ولما اشتدت المظاهرات الشعبية ضد هذه المعاهدة، طلب صدقى باشا من الشيخ البنا أن يركب سيارة سليم زكى باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ويعمل على تهدئة الجماهير، واستجاب المرشد العام للإخوان لهذا الطلب(١).

ونتوقف قليلاً أمام هذه الشهادة:

* أية علاقة هذه التى تربط بين الطاغية الخائن صدقى وبين الشيخ البنا، والتى تجعله أقرب إليه من شركائه فى الحكم: النقراشى وهيكل؟

* أن البنا قد وافق على المعاهدة التى رفضتها مصر

(١) صلاح الشاهد- ذكرياتى فى عهدين، ص: ٤٨.

كلها، والتي لم تزل حتى الآن رمزاً للخيانة الوطنية
والتفريط في حقوق الوطن.

* أن البنا قد سمح لنفسه بأن يركب سيارة البوليس
ليعمل على تهدئة المتظاهرين المعارضين لاتفاقية الخيانة،
أما واقعة الركوب لسيارة سليم زكى باشا فهى مؤكدة
وصوره تملأ صحف تلك الأيام، أما الواقعتان الأوليان فقد
أوردناهما على مسئولية الشاهد^(١).

إجلاء المستعمر ليس هدف الإخوان

لقد كان شهر العسل الإخوانى - البريطانى مبرراً من
الجانبيين، فالإخوان لم يعتبروا أن النضال ضد الاحتلال
البريطانى محور عملهم السياسى كأى حزب وطنى آخر،
بل على العكس من ذلك كانوا حريصين دائماً على التأكيد
بأن محور النضال هو الحكومة الإسلامية وليس إجلاء

(١) حسن البنا، د. رفعت السعيد، ص: ١٤٨.

المستعمر، يقول الباحث الوثيق الصلة بحركة الإخوان د. إسحاق موسى الحسينى: (إن تحرير وادى النيل كله من النفوذ الأجنبى كان مطلبًا يلى فى الأهمية لدى الإخوان مطلب إقامة الحكومة الإسلامية)^(١).

الإخوان يتطلعون لأمريكا وروسيا

لكن الملاحظ أن شهر العسل لم يدم طويلًا.. وأن الإخوان قد حاولوا التوجه نحو أمريكا، وكتاب الزعيم الإخوانى مصطفى مؤمن (صوت مصر) مليء بالوقائع والأدلة، والتوجه نحو أمريكا، فيقول ص ٢٧١: (أيها الأمريكيون.. أنتم الشعب الحر.. وقواد الديمقراطية) وعلى هذا المنوال يمضى الكتاب كله.

ويثير الدهشة أيضًا ما كتبه سيد قطب أحد قادة الإخوان من أن المسلمين بحاجة مؤقتًا إلى المعسكر

(١) الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، ص: ٩٤.

الشيعى لىخيفوا به الطغة والمستغلين (١).

البننا بناور وبتناقض فى أقواله

نحن سياسيون.. كانت هى صيحة الشيخ البننا الذى ظل ولفترة طويلة بناور بحثاً عن مكن لجماعته تعيش فيه وتتمو، وقد صدر العدد الأول من (النذير) فى مايو ١٩٣٨م، وفى افتتاحيته أعلن البننا أنه وجماعته سوف ينتقلون من دعوة الكلام إلى النضال، وبعد أن عدّد القوى السياسية فى مصر أكد لأتباعه أنهم لن يقفوا بعد الآن موقفاً سلبياً وسيفرضون رأيهم بالقوة، فىقول: (ستخاصمون هؤلاء جميعاً فى الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم).

وكعادته لا يوصد أى باب، بل يترك لنفسه منفذاً، ولهذا يلجأ دوماً - وفى مسألة العلاقة بالسياسة بالذات -

(١) سيد قطب- السلام العالمى والإسلام، ١٩٥١م، ص: ١٦٧.

إلى التعمية والغموض ويعتمد التعميم والألغاز فيقول:
(هل نحن طريقة صوفية، جمعية خيرية، مؤسسة
اجتماعية، حزب سياسى، نحن دعوة القرآن الحق الشاملة
الجامعة، نحن نجمع بين كل خير)^(١).

لكنه لا يلبث أن يقول: (إن الإخوان دعوة سلفية،
طريقة صوفية، هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة
علمية ثقافية، شركة اقتصادية، فكرة اجتماعية)^(٢).

ثم يعود البنا إلى إنكار كلماته، ليلتوى بالألفاظ فى
اتجاه معاكس: (أيها الإخوان أنتم لستم جمعية خيرية، ولا
حزباً سياسياً، ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة
المقاصد، ولكنكم روح جديد، ونور جديد، وصوت

(١) أنور الجندى - الإخوان المسلمون فى ميزان الحق، ص: ١١.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٥.

داو(١).

ونعود مرة أخرى إلى الألفاظ التي لا تحمل مدلولاً محددًا (روح جديد) (نور جديد) (صوت داو). ولا يملك الباحث سوى الحيرة.. هل كان الأمر يحتمل كل هذا التخبط؟ أم أنه تخبط مخطط ومقصود؟.. فإذا ما حاصر السؤال المحدد (الشيخ) أجاب في براءة: (ليس هناك شيء اسمه دين وشيء اسمه سياسة، هذه بدعة أوربية)(٢).

ولا يكون أمام أي باحث مهما كان محايدًا إلا أن يفترض أن الشيخ كان يتعمد وبشكل ظاهر الخلط والمرآغة، فهو يؤكد على الطابع الديني للجماعة إذا ما جابهه في الحكومة رئيس قوى، ولكنه لا يلبث أن ينغمس في الصراعات السياسية إذا ما وجد أمامه رئيسًا ضعيفًا

(١) المرجع السابق، ص: ٥١.

(٢) النذير - العدد العاشر - عام ١٩٣٨م.

للحكومة، وكأن الإسلام عباءة تلبس عند اللزوم وتخلع أيضاً عند اللزوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

البناء يهدم الشورى

إذ يعلن البناء نفسه زعيماً سياسياً.. ويقدم جماعته كهيئته سياسة لا يستتشف من أن يحرم الآخرين جميعاً من حق العمل السياسى.. فيقول: (لقد آن الأوان أن ترتفع الأصوات بالقضاء على نظام الحزبية فى مصر، وأن يستبدل به نظام تجتمع فيه الكلمة وتتوفر جهود الأمة حول منهاج قومى إسلامى صالح)(١).

والشئ الذى قد يبدو محيراً للباحث المحايد هو أن البناء كان يؤكد أن الأحزاب والنظام الحزبى ليسا ضروريين إذ يمكن لهذه الحكومة أن تقوم بدون حزبية، ذلك لأن الأحزاب تقسم الأمة ولا تتفق مع النهج

(١) الإخوان المسلمون - الأسبوعية - ٩/٤/١٩٤٦م مقال لحسن البناء.

الإسلامى (١).

وإذ يدعو البنا صراحة إلى حل كل الأحزاب القائمة، فإنه لا يجد غضاضة فى أن يطالب الجميع بأن يفسحوا له الطريق وحده قائلاً: (فحل الأحزاب السياسية سيثلوه قيام حزب واحد على أساس برنامج إسلامى إصلاحى) (٢). ولعله يبدو غريباً أن يمعن البنا فى فكرة تصفية كل الأحزاب السياسية ما عدا حزبه إلى درجة الاستشهاد بتجربة الحزب الواحد فى روسيا وتركيا، وكلتاها دولتان لا ترضى جماعة الإخوان عن نهجيهما (٣). وتستمر علامات الاستفهام وعلامات التعجب فى التراكم، ولا نملك إلا أن نمضى مع رحلة الشيخ السياسى

(١) حسن البنا- مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى- ص: ٤١،

(٢) حسن البنا- الرسائل الثلاث- ص: ١١٢.

(٣) الإخوان المسلمون ١٩٤٦/٧/٢٢. مقال لحسن البنا.

لنسجل ملاحظتنا.

فالينا يقدم نفسه كحزب سياسى يريد السلطة، بل ويؤكد أكثر من مرة أنه لن يسعى إلى السلطة وإنما السلطة هي التي ستسعى إليه فيقول: (فنحن لا نسعى للحكم، ولكن هو الذى سيسعى إلينا فيما نعتقد، وحينئذ ن فكر فى تحديد موقفنا منه، أنقبله أم نرفضه)^(١).

وإذا ما سئل كأي زعيم سياسى عن برنامج أ جواب: (نحن مسلمون وكفى، ومناهجنا منهاج رسول الله ﷺ وكفى، وعقيدتنا مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله وكفى) (حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية).

وهذا الأمر ليس بهذه السهولة.. إذ لا يمكن لرئيس جماعة سياسية أن يقتحم ميدان العمل السياسى معلناً أن الإسلام (طاعة وحكم ومصحف وسيف) دون أن يدفع

(١) المصور، ١/٣/١٩٤٦م.

الجميع إلى التساؤل من سيستعمل السيف؟ وضد من؟
ولعل التساؤلات بدت في محلها تمامًا عندما استخدم
السيف بالفعل أسلوبًا في تعاملات الجماعة مع خصومها.
والإخوان لا ينكرون حقيقة أنهم جماعة سياسية بغير
برنامج، وليس أدل على ذلك من مشروع (النهضة) الذي
قدمه محمد مرسي رئيس الإخوان ٢٠١٢ - ٢٠١٣م،
واتضح أنه مشروع وهمي لا أساس له، ولا وجود له
على أرض الواقع!!.

التخبط مع الدستور والقانون

في رسالة المؤتمر الخامس يقول البنا: (إن من
نصوص الدستور المصري ما يراه الإخوان المسلمون
مبهمةً غامضًا يدع مجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذى
تمليه الغايات والأهواء، فهي فى حاجة إلى وضوح وإلى
تحديد وبيان، هذه واحدة.. والثانية هى أن طريقة التنفيذ

التي يطبق بها الدستور طريقة أثبتت التجارب فشلها
وجنت منها الأمة الأضرار لا المنافع، فهي فى حاجة
شديدة إلى تحويل وإلى تعديل يحقق المقصود ويفى
بالغاية، ولا بد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة
الأخطار والعمل على تعديلها(١).

لكن البنا سرعان ما يتراجع خوفاً من أن يتهم
بمناهضته للدستور فيقول: (إن الدستور بروحه وأهدافه
العامّة لا يتناقض مع القرآن من حيث الشورى، وتقرير
سلطة الأمة وكفالة الحريات، وإن ما يحتاج إلى تعديل
منه يمكن أن يعدل بالطريقة التي رسمها الدستور
ذاته(٢).

بل هو يواصل تراجعته إلى درجة تثير الدهشة فيقول:

(١) حسن البنا، رسالة المؤتمر الخامس.

(٢) أنور الجندى- الإخوان المسلمون فى ميزان الحق، ص: ٦٣.

(ما كان لجماعة الإخوان المسلمين أن تتكرر الاحترام
الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر،
ولا أن تحاول الطعن فيه أو إثارة الناس ضده وحضهم
على كراهيته، ما كان لها أن تفعل ذلك وهى جماعة
مؤمنة مخصصة تعلم أن إهاجة العامة ثورة، وأن الثورة
فتنة، وأن الفتنة فى النار)^(١).

لماذا كل هذه القفحة إذن؟.

ولماذا الحديث عن الجهاد وعن النظام الإسلامى وعن
التغيير الجذرى إذا كان النظام القائم سواء فى عهد الملك
فاروق - صديق الإخوان - أو فى عهد الإخوانى جمال
عبد الناصر - عدوهم - مقبول من جانبهم؟ ولا ينكرون
الاحترام الواجب له، باعتباره نظام للحكم المقرر.

(١) النذير - العدد ٣٣ - مقال لحسن البنا بعنوان: الإخوان المسلمون
والدستور المصرى.

والحقيقة أن هذه التصريحات كانت مجرد ستار من الدخان يخفى سعى الإخوان للانقضاض على الحكم، ذلك أن واحدًا لا يختلف في أن النظام المطبق في مصر لا يجعل منها دولة إسلامية بالمفهوم الوهابي النجدي.

والأمر لا يقتصر فقط على الدستور وإنما يمتد أيضًا إلى (القانون) فقد أكد الإخوان في أكثر من موضع وبلسان جهابذة القانون من قادتهم أن القانون المطبق في مصر - باستثناء بعض النصوص - يتفق مع نصوص الشريعة ولا يتناقض مع مبادئها العامة^(١).

وقد أكد هذا الموقف بتفصيل واف وإسهاب الأستاذ حسن الهضيبي (خليفة حسن البنا) أثناء محاكمته عندما قال: إنه عندما كان يطبق القانون المدني وهو قاض لم

(١) عبد القادر عودة - الإسلام بين جهل أبنائه وعجز زعمائه - ١٩٥٢م، ص: ٢٣.

يكن يناقض الشريعة الإسلامية.

ويتساءل الباحث الأمريكي المقبول عند الإخوان المسلمين ريتشارد ميتشيل وهو محق تمامًا: (إذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذن إصرار الإخوان على تطبيق الشريعة الإسلامية؟) (١).

ونحن نجيب على هذا السؤال: وهو أن جماعة الإخوان ترفع شعار الشريعة الإسلامية تأسياً بأسلافهم من الخوارج الذين رفعوا شعار: (إن الحكم إلا لله) في وجود الإمام عليّ كرم الله وجهه؛ لأنهم لا يريدون أن يحكموا بالإسلام ولكنهم يريدون أن يحكموا بالإسلام.

لولى الأمر حق التشريع

إن أتباع البنا من قادة حركة الإخوان ومفكريها قد حاولوا حل التناقض القائم بين الشريعة الإسلامية وبين

(١) راجع صحيفة الإخوان المسلمون ٢٩/٧/١٩٥٤م.

النظام القائم ولكن لصالح هذا النظام وتبريراً له.. ويؤكد
سيد قطب- كبير مفكرى الإخوان بعد وفاة الشيخ البنا-
(إن السلطات الممنوحة لولى الأمر تعطيه حق التشريع
مهتدياً بمسألتين: المصلحة المرسله وسد الذرائع)(١).

ولا بد لنا من أن نعيد ونكرر تساؤلنا: فيم إذن كل هذه
الضجة عن العودة للنظام الإسلامى، وعن جاهلية النظام
الذى كان قائماً فى الأربعينيات أو فيما بعدها؟، إذا كان
الإخوان المسلمون قادرين دوماً على التلون بأفكارهم
ومبادئهم، فهى: تارة تتفق مع هو قائم، وتارة تطالب
بإدخال تعديلات طفيفة عليه، وتارة ترفضه لأنه جاهلى
وضلال، وكل ضلالة فى النار.. ولا مبرر ولا معيار
لقفز الجماعة من موقف إلى موقف سوى المصلحة
الآنية.. الأمر الذى يثير ريبة الباحث فى مدى جدية

(١) سيد قطب، العدالة الاجتماعية فى الإسلام.

الشعارات التي ترفعها الجماعة أو تدعو لها.

البديل الذي قدمه البنا

* أهل الشورى يكونون: إما من رجال الدين، وإما من الرجال المتمرسين على القيادة مثل رؤساء العائلات والقبائل، ولا تكون الانتخابات بمقبولة إلا إذا ما أسفرت عن اختيار أناس من هذين الصنفين^(١). ونلاحظ أن الشورى عنده مفاهيم إقطاعية متخلفة، مع أن الإسلام أكد أن التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح.

* نفيًا لدستور ١٩٢٣م نادى الإخوان (القرآن دستورنا)، مع أن القرآن حجة ودعوة، وليس دستورًا للحكم، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في السنة الأولى بعد الهجرة من وضع دستور للحكم سماه كتاب المواعدة قبل اكتمال نزول القرآن.

(١) حسن البنا، مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامى، ص: ٦٠.

* ونفياً للزعامات السياسية (النحاس باشا أساساً) نادوا
(الرسول زعيمنا)، مع أن الرسول مقصود الأمة، وليس
زعيمها، والزعيم لغة هو الرئيس أو الكفيل، وهذا معنى
فيه نقص لقدر رسول الله ﷺ .

* ورفعاً للمخطط الوهابي غلفوه بأعلام (الخلافة
الإسلامية)، ولكن العجيب أنهم علقوا الخلافة الإسلامية
على الملك فاروق، حيث يقول الشيخ البنا فى مجلة النذير
العدد الأول مايو ١٩٣٨م: (إن لنا فى جلالة الملك المسلم
أيده الله أملاً). وبكل ما قام بينهم وبين القصر من علاقات
- سنشير إلى بعضها فى صفحات قادمة- هل كانوا وهم
يتحدثون عن الخلافة الضائعة يلوّحون بها للملك فاروق؟
أم لملك الوهابية ولى نعمتهم الذى أخرجهم بعملية
قيصرية من رحم الشعب المصرى؟ أم أى خليفة آخر
كانوا يريدون!!!.

الثالوث (ماهر - المراعى - البنا)

ويمضى الشيخ يوسع من قاعدة جماعته ونفوذها،
مكتفياً بشعارات عامة قد لا يختلف عليها أحد.

فى عام ١٩٢٩م كان لها أربع شُعب، أصبحت خمساً
فى عام ١٩٣٠م، ثم عشرًا فى ١٩٣١م، ثم ١٥ فى عام
١٩٣٢م.. ثم تأتى مرحلة يقفز فيها عدد شعب الجماعة
إلى ٣٠٠ شعبة فى عام ١٩٣٨م، إنها مرحلة التقاء
الثالوث (على ماهر - الشيخ المراعى - حسن البنا) فى
محور واحد مناهض لحزب الوفد وموالٍ للسراى.
ويستمر الصعود ففى عام ١٩٤٠م تصبح الشعب ٤٠٠
شعبة حتى تصل إلى ألفى شعبة فى عام ١٩٤٨م.

فى رسالة المؤتمر الخامس ص ٥٦، قال الشيخ البنا:
(أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها: إن
اليوم الذى يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم

الإسلامية البحتة لم يجئ بعد ولن يجيء أبدًا، وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أيًا كان خصومة خاصة به، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تحل الأحزاب كلها وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم.. وبهذه المناسبة أقول: إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج، والعلاج الحاسم الناجع أن تزول هذه الأحزاب مشكورة، فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التي أوجدتها، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون).

هكذا تحدث حسن البنا..

لكن الكلمات شيء والأفعال شيء آخر.

فالدعوة توجهت نحو القصر الملكي تدعمه وتشد من

أزره وتحاول جاهدة ودون جدوى أن تزين وجه الملك فاروق، والهجوم على الحزبية والأحزاب سرعان ما أسفر عن تحالف مع محور (على ماهر - المراغى) لفترة، ومع إسماعيل صدقى لفترة أخرى، ثم مع أحزاب الأقليات لفترة ثالثة، ولكن.. أليس من الأفضل أن نسير مع التحالفات السياسية للشيخ خطوة خطوة؟ وأليس من الأفضل أن نلقى بقعة صغيرة من الضوء على واحد من أقرب وأهم حلفائه - على ماهر باشا - تحدد لنا موقعه وموقع الحلف معه من قضية الوطن وقضية الإسلام؟ فقط أردنا بإيراد كلمات الشيخ السابقة أن نضعها في مواجهة مواقفه العملية، ونزن بعد ذلك مدى الصدق في الكلمات والمواقف.

توفى الملك فؤاد، وأتى لحكم مصر شاب صغير السن، بلا خبرة ولا تجارب ولا قدرات، ونجح فى أن

يسيطر عليه واحد من أعتى السياسيين المصريين وأكثرهم طموحًا وذاتية وهو على باشا ماهر، والذي أصبح له النفوذ الأول فى السراى، واستطاع أن يصب فى الملك الجديد الكراهية التى كانت تفيض بها نفس أبيه نحو حزب الوفد.

وقد اعترف على ماهر بنفسه أمام المحكمة أنه كان صديقًا للإنجليز، وأنه كان (على ولاء تام لهم والمجاملات الشخصية كانت لأقصى الحدود..)^(١).

وعندما تصاعد المد الفاشى، وتصور البعض أن (الألمان قادمون) تهيأوا لاستقبال السيد الجديد، من هؤلاء كان على ماهر، يقول الدكتور الطيب الناصر فى مذكراته: إن الكونت ماتزولينى آخر وزير مفوض لإيطاليا الفاشية فى مصر أبلغه أنه (اتفق شخصيًا مع على

(١) ملف قضية الاغتيالات السياسية - شهادة على ماهر باشا.

ماهر فى الوقت المناسب لتمهيد السبيل لجيوش
المحور)(١).

وتنفيذاً لهذا المخطط وفى أعقاب الهجوم العنيف الذى
قاده الجنرال روميل باتجاه مصر واستولى على بنى
غازى يوم ٢٩ يناير ١٩٤٢م، هاجت فى مصر
مظاهرات أغلبها من الأزهريين (أتباع الشيخ المراغى
حليف على ماهر باشا) تهنف (إلى الأمام يا روميل)
وتهنف أيضاً (على ماهر رجل الساعة).

ويقول جورج كيرك: (إن المخابرات البريطانية
اكتشفت فى الوثائق الألمانية أن على ماهر باشا كان
يحصل على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر)(٢).

(١) روز اليوسف ٢٣/١/١٩٥١م، مذكرات الدكتور الطيب الناصر.

(٢) جورج كيرك- موجز تاريخ الشرق الأوسط- ترجمة عمر السكندرى،
ص:٣٤.

هذا هو على ماهر الذى دخل الشيخ البنا السياسة من
بابه الخاص، والذى كان أول حليف سياسى لجماعة
الإخوان المسلمين، والذى قاد البنا بيديه نحو التبعية
للسراى والملك، والعداء للوفد والقوى الديمقراطية.
وهكذا كان على ماهر باشا أول من وعى - من
المسؤولين - نصيحة إسماعيل صدقى باشا بالتعاون مع
الإخوان المسلمين واستخدامهم.

علاقة الإخوان بالملك

كانت البداية أثناء الاستعدادات لتولية الملك الشاب
على العرش، فقد اقترح الأمير محمد على إقامة حفل
دينى تتم فيه مراسيم تولية الملك، والحقيقة أن هذا
الاقتراح لم يكن سوى جزء من المخطط الشامل لـ عليّ
ماهر والشيخ المراعى باحتواء الملك وتقديمه فى صورة
الملك الصالح المسلح بالدين فى مواجهة الوفد المسلح

بتأييد الشعب؛ وهنا يبرز - ولأول مرة - الدور السياسي للشيخ حسن البنا وجماعته، والتوقيت مهم للغاية؛ لأنه كما يحدد المهمة، يحدد إطارها وبواعثها ومحركيها.

ويعقد الإخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع لهدف وحيد هو الاحتفال باعتلاء الملك العرش! ولأول مرة أيضًا تبرز في الميدان جولة الإخوان المسلمين (لتلعب أدوارها الهامة كقوة للنظام والأمن)^(١).

وبعد احتفالات طويلة ومليئة بالبهجة تجمع الإخوان المسلمون عند بوابات قصر عابدين هاتفين (نهيك بيعتنا وولاعنا على كتاب الله وسنة رسوله)^(٢).

وتستمر هذه الاحتفالات كل عام، فقد نشر بصحيفة

(١) المصري - عدد ٢٢/٢/١٩٣٧م.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية - حسن البنا، و(حسن البنا) د. رفعت السعيد، ص: ١٦٢.

الإخوان المسلمين عدد ١٩٤٦/٥/٦م (جاءنا من المحلة الكبرى أن استعراضًا جميلًا مؤلفًا من خمسمائة وألف من جواله الإخوان المسلمين هناك أقيم بعد ظهر أمس ابتهاجًا بهذه المناسبة السعيدة) وفي مناسبة أخرى، وعندما اختلف النحاس باشا مع القصر، خرجت جماهير الوفد تهتف (الشعب مع النحاس)، فسيرَّ الشيخ البنا رجاله يهتفون (الله مع الملك).

وتناهى الإخوان كثيرًا بأن الملك قد خرج فى شرفه قصره ست مرات ليحيى مظاهرتهم هذه^(١). وتقول صحيفة البلاغ: (إن الملك كان بالغ السعادة بشعار الله مع الملك، وكان يردد نعم الله معنا)^(٢) وهكذا تتعزز العلاقة بين القصر والإخوان وتصل إلى درجة التشاور مع البنا

(١) الأهرام، ١٢/٢٢/١٩٣٧م.

(٢) البلاغ ١٢/٢٢/١٩٣٧م.

قبل استدعاء إسماعيل صدقي^(١).

والحقيقة أن البنا لم يكن جديدًا على فكرة التقرب إلى العرش فهو يروى بنفسه في كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) إنه لما حُقق معه في عام ١٩٣٠م ثبت من التحقيق أنه كان يملئ على طلبته في دروس الإيماء موضوعات يتوخى فيها الثناء على الملك فؤاد وتعداد مآثره.

ولم تكن جولة الإخوان وحشودها لتحية الفاروق وحده وإنما أيضًا لتحية على ماهر.. فعند عودته من مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن (مارس ١٩٣٩م) لبحث قضية فلسطين، يقول الباحث دون هيوارت: (كانت حشود الجولة والإخوان في انتظاره هاتفية له).

لكن النحاس باشا كان يرى أن إقحام الإخوان

(١) آخر ساعة، ١/١٢/١٩٥٤م.

المسلمين في السياسة وتساعد دعواهم في هذا الوقت بالذات تعبير عن مؤامرة أوسع وأخطر، فيقول في خطاب ٢ يوليو ١٩٣٨م: (عامل آخر من عوامل الأزمة.. فلقد أراد أصحاب المؤامرة أن يجعلوها محبوبة الطرفين.. فتآمروا على استخدام الدين في الدعاية ضد الحكومة - حكومة الوفد- ولقد كان من شأن هذه الدعاية أن تقف حجر عثرة في سبيل إلغاء الامتيازات الأجنبية، وينال المتآمرون من وراء ذلك ما يرجونه)^(١).

انتهى الجزء الأول

(١) هذا التحليل للموقف من النحاس باشا يؤكد المخطط الإنجليزي الوهابي للسيطرة على مصر، وإضعاف أية حكومة وطنية تعمل ضد الاستعمار وأعوانه.

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	افتتاحية الكتاب
٣٧	الفصل الأول
٣٧	البداية صوفية
٥٣	الاحتفال بالمناسبات الدينية
٦١	رجال الطرق الصوفية
٦٨	الفصل الثاني
٦٨	الإخوان مع حسن البنا
٦٨	التسليم الكامل للبنا
٧٠	الديكتاتور والجماعة
٧٢	تشبيه البنا نفسه بالرسول ﷺ
	المنافرة هي أسلوب البنا
٧٣	فى التعامل السياسى

- ٧٤ أول التبرعات للجماعة من الفرنسيين
- ٧٥ الإخوان يهاجمون الأزهر والصوفية
- ٧٧ البيعة الزائفة
- ٨٢ إسلام المظاهر
- ٨٣ الهدف كرسي الحكم
- ٨٦ الغموض والسرية
- ٨٨ الأستاذ العقاد يحذر من الإخوان
- ٨٩ مصادر التمويل!!
- ٩٤ علاقة الإخوان ببريطانيا
- ٩٧ علاقة الإخوان بالخائن صدقي
- ١٠٠ إجلاء المستعمر ليس هدف الإخوان
- ١٠١ الإخوان يتطلعون لأمريكا وروسيا
- ١٠١ البنا يناور ويتناقض فى أقواله
- ١٠٤ البنا يهدم الشورى

١٠٨	التخبط مع الدستور والقانون
١١٢	لولى الأمر حق التشريع
١١٣	البدیل الذی قدمه البنا
١١٥	الثالوث (ماهر - المراعى - البنا)
١٢٠	علاقة الإخوان بالملك
١٢٦	فهرس الكتاب